روايات مصرية



أحلام

فانتازيا 62

د. أحمد خالد توفيق

مقدمـــة

(عبير عبد الرحمن) مخلوقة عادية إلى حد غير مسبوق . . إلى حد يخطف الأبصار . . إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا . . الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء . . لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها . .

ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة . . ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق . . ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر . . ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء . . ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة . .

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا . . إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك . . ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا . . وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) . . .

إن (عبير) كريمة النفس، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير . . سوف تصحبنا معها . . سوف نعبر معهـا عالـم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما . . سوف تقابل ـ ونحن معها ـ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) . . سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان . . سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته . . ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب . . ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) . . ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول . .

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد . . وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود . .

إن جرس المحطة يدق، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار . . والمرشد الملول الذى يرشـدها فى أنحــاء (فانتـازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار . . فلنتخذ مقاعدنا بسرعة . .

لقد حان موعد قصة أخرى . . . . . هذه المرة تقرؤها على شاشة جهاز الإنترنت . .



١ ـ اللغـــز..

هكذا قال لها الدكتور مصطفى وهو يناولها القرص المنوم :

ـ « أتمنى لك التوفيق .. إن شجاعتك لخارقة »

ابتسمت فى سخرية . كانت تتصور أنماطًا عديدة للشجاعة ، لكنها لم تتخيل قط أن تكون هناك شجاعة فى النوم المريح ..

كانت الغرفة مريحة خافتة الإضاءة ، لكن هناك كاميرا جدارية مصوبة عليها ، وبالطبع كانت هناك أقطاب عدة مثبتة لرأسها ، وعلى صدرها .. كما أن مقياس أكسجين الدم (أوكسيميتر) كان مثبتًا فى إبهامها . الحقيقة أنها كانت تشعر كأنها أخطبوط .. أخطبوط تراقبه كاميرات ناشونال جيوجرافيكس النهمة .

مختبر النوم .. الموضة العلمية الجديدة التى عرفها الثلث الأخير من القرن العشرين . هناك تمر بما يسمى (رسم النوم المتعدد Polysomnography) . تنام كطفل بينما هم يقيسون لك تخطيط الدماغ وحركة العينين ونشاط العضلات وتخطيط القلب وكذا نسبة أكسجين الدم ..

الأمـر يشبـه جهاز كشف الكذب نوعًا لكنه أعقد .. ومهمته الرئيسة تشخيص أسبـاب الأرق وأسبـاب توقـف التنفس ليـلاً وكثـرة نومك فى النهار ...

هناك أجهزة أسهل يمكن استعمالها في البيت، لكننا هنا لسنا بصدد تشخيص مشاكل النوم .. نحن نواجه مشكلة معقدة خطيرة ..

أغمضت عينيها وراحت تتنفس بعمق وهى تستعيد ملابسات هـذه القصة ..

★ ★ ★

كان الانتقال سريعًا وسهلاً ...

كانت فى سانت هيلانه تحقق فى موت بونابرت ، وعندما انتهت القصة فوجئت بأنها تنتقل بلا مقدمات إلى عالم هذه القصة .. حتى أن المرشد لم يظهر قط ليخبرها بأى شىء ..

وجدت نفسها تقود سيارة وتدخل من بوابة حديدية انفتحت لها ، ثم رأت من يفتح لها باب السيارة ويحييها فى احترام .. ثم وجدت أنها تمشى فى ممرات مخيفة رسمية الطابع ..

من هى بالضبط ؟ ملكة ؟ وزيرة ؟

كانت هناك مرآة جانبية عملاقة استطاعت أن ترى فيها وجهها الجديد .

لم تكن جميلة أو فاتنة كعادة فانتازيا ، بل هي امرأة قصيرة القامة ذات شعر شائب معقوص لخلفية رأسها ، وتلبس تايورًا يوحى بأنها امرأة عملية نشطة .. على وجهها مزيج من التصميم والقلق ، ومن الواضح أنها لا تهوى المزاح جدًا .

كانت تمشى كأن هذا هدفها الوحيد فى الحياة ، وفى نهاية الممر ينفتح مكتب . . .

مكتب فاخر عملاق يدل على رفعة مقام صاحبه .. الجو عطر . . .

هناك شاب متأنق يقف على سبيل الترحيب بها . . .

هناك شخص عظيم خلف المكتب .. وزير أو لواء أو زعيم أو رئيس .. لا يهم .. المهم أنه موح بالسلطة والرهبة ، ومن الواضح أنه لا يترك السيجار لحظة وكذلك لا ينزع النظارة السوداء .. من الصعب أن يضعف هذا الرجل لينام . . .

لما رآها قال لها على الفور بصوت آمر :

ـ « مهمتك أن تقومى بالعثور على الميكروفيلم الخاص بالمفاعل . وهذا القرص الصلب سوف يحترق ذاتيًا خلال . . . . »

ثم تذكر أنه خلط الأمور .. فابتسم .. هذه مهمة أخرى لشخص آخر .

هى كانت قد خمنت أنها فى جهاز مخابرات أو شىء من هذا القبيل . لكن لا تشعر أنها جاسوسة .. لابد للجاسوسة أن تكونَ حسناء فاتنة تُذهب العقول .. نساء جيمس بوند الساحرات الغامضات شبه العاريات، أما هى فتبدو كمعلمة رياضيات فى مدرسة إعدادية .

من هى ومن هو ؟

الإجابة الأولى كانت سهلة .. لقد قال لها :

ـ « أرجو أن تجلسى يا دكتورة إنجى »

فجلست كدكتورة إنجى ووضعت ساقًا على ساق .. لسبب ما فوجئت بأنهـا تدخـن .. هذا غـريب .. ليس عن فتنة أو إغراء بل عن طبيعة رجولية .. وتمنت لو تملك الجرأة لسؤاله عن اسمه ووظيفته .. هنا وجه لها السؤال الثانى :

ـ « أنت تتساءلين طبعًا عن سبب احتياجنا لخبيرة فى علم النوم »

هكذا عرفت مهنتها وهى مهنة غريبة فعلاً . هل هناك خبراء نوم ؟ ماذا يعملون بالضبط ؟ ينامون ؟

قالت العبارة المتوقعة :

ـ « أولاً أنا أدرس النوم وأدرس علم الأونيرولوجى .. علم دراسة الأحلام .. ثانيًا .. بالفعل .. أنا مهتمة »

وسعلت كثيرًا ثم أطفأت لفافة التبغ في المطفأة بجوارها ..

هنا طقطق بإصبعه فظهرت شاشة كبيرة تهبط من موضع فى السقف ، وساد الظلام . هذا جو جيمس بوندى فعلاً، لكنه مصرى جدًا برغم هذا ..

من عدسة ما انبثق شعاع .. وراحت ذرات الغبار ترقص فيه ..

على الشاشة ظهر رجل نائم .. أعنى بالطبع أنه يبدو نائمًا .. يمكنك بسهولة أن تدرك أنه رجل فى الخمسين يرقد فى فراش وقد فتح فاه ..

هذه ملامح شخص ميت . . .

العين نصف مفتوحة ، والوجه كله يرسم معالم صرخة .. هذا وجه رجـل مـات مذعـورًا .. يد دخـلت الكادر وفتحت العين أكثر مباعدة

الجفنين . . . ثم أزاحت الملاءة . . تراجعت الكاميرا لتظهر أن كفى الميت تتشبثان بمخالب فى الفراش . . تطبقان على الملاءة بجشع . . .

دوى صوت الرجل المهم يقول :

ـ « السيد الشناوى . . مسئول مهم فى وزارة التخطيط . . . قد لا يعرف كثيرون من الناس أن هذا الرجل من أهم عشرة رجال فى الدولة . . . هكذا وجدوه فى الصباح . آوى لفراشه ليلاً . . لا يشكو من أمراض . . . قالت زوجته إنه صحا من نومه وراح يصرخ ثم هوى على الوسادة ميتًا »

قالت عبير في ملل :

ـ « الكوابيس تحدث على كل حال . . القلوب الضعيفة لا تتحملها »

ـ « ربما . . . »

ومن جديد عادت الصور تظهر مشهدًا آخر . . هذا رجل يلبس المنامة . . وقد سقط نصفه العلوى نصف سقوط نحو الأرض . . . وجهه يحمل علامات ذعر غير مسبوق وجسده يرقص رقصة مخيفة للخلاص . المنامة مفتوحة كاشفة عن صدره العريض الذى يكسوه شعر أبيض كالقطن . .

هناك من جديد يد تتفحصه ثم سماعة طبيب تدخل الكادر وتوضع على صدره . . الملاءة ترتفع لتغطى الوجه . .

جاء صوت الرجل المهم :

ـ « منصور بيومى . . . رجل شرطة مهم . . . يعيش وحده ، وقد جاء الخادم المسن صباحًا ليوقظه للإفطار وأعد له الجريدة . . فوجئ بهذا المشهد . . . هو مريض بخلل بسيط فى القلب . . »

قالت عبير :

ـ « هناك دستة أمراض تقتل أثناء النوم . . وهناك ما يدعى متلازمة بروجادا . . . اضطراب ضربات يحدث أثناء النوم ، وقد وصفه طبيب كوبى . . . فى الفليبين ينتشر هذا المرض كثيرًا ويسبب الموت فى الفراش ليلاً ، ولهذا يضع كثير من الرجال هناك ماكياجًا نسائيًا قبل النوم لأنهم يعتبرون سبب النوم شيطانة تزور الرجال ليلاً . . لذا يتنكرون حتى تحسبهم نساء ! »

ضحك في عصبية وقال :

ـ « هذا جميل وغريب . . لكننا لسنا فى الفليبين . . هذه مصر »

وعلى الشاشة ظهر مشهد آخر لرجل ميت أثناء نومه على الأرجح . هناك زوجة أخرى تحدثت عن رجل يصحو صارخًا والزبد يسيل من شدقيه . . قال شيئًا مثل : إنه يفتك بى ، ثم سقط ميتًا . .

ـ « مراد وصفى . . خبير تسليح . . هناك خمسة من أمثال هذا الرجل فى العالم كله ، وقد حاولت الولايات المتحدة أن تأخذه لنفسها . . »

هكذا توالت الصور على الشاشة حتى شعرت بأنها موشكة على إفراغ معدتها . .

فى النهاية رفعت يدها وهتفت :

ـ « سيدى . . أرجو أن تتوقف . . لقد أصابنى الدوار والغثيان »

طقطق بأصابعه من جديد فأظلمت الشاشة وارتفع الستار ببطء ثم عاد الضوء . . . أغمضت عينيها لأن الضوء آلمها وقالت :

ـ « حسب ما فهمت . هناك وباء من هؤلاء الذين يموتون أثناء نومهم . . Dead in bed كما يقول الغربيون . ويبدو أنهم يرون كوابيس قبل النوم . كلهم مسئولون مهمون . . ألم يجل بخاطرك أنهم مرضى بالقلب ؟ »

قال فى هدوء :

ـ « بلى . . لكن التشريح يؤكد أن معظمهم سليمو القلب »

ـ « والعشاء الدسم الذى يطبق على الأرواح ؟ »

ـ « كلهم يأكلون عشاء دسمًا ؟ »

ـ « الرجال المهمون يتمتعون بشهية ممتازة فهم يتمتعون بكروش عملاقة »

قال فى ملل بلهجة من لا يطيق المزيد من هذا المزاح السخيف :

ـ « الأمر خطر فعلاً . . . نحن ننزف رجالاً شديدى الأهمية . . لا نعرف السبب . . . هل هناك عملية مخابرات شديدة البراعة ، وهل هناك سم يقتل الناس أثناء النوم ؟ »

قالت مفكرة :

ـ « لا أعتقد . . لا يوجد سم ينتظر ساعات النوم على قدر علمى »

ثم استدركت :

ـ « ولا أزعم أننى أعرف كل حيل المخابرات . . لربما هناك عالم صربى توصل لسم لا يعمل إلا فى دفء الفراش ، أو الساعة الثالثة صباحًا . . من يدرى ؟ »

قال فى ثقة :

ـ « على قدر علمى لا يوجد . . . »

ثم نفث سحابة ضخمة من الدخان :

ـ « ما نريد فهمه هو: لماذا يموت الناس أثناء نومهم ؟ من يفعل ذلك ؟ هل هي صدفة ؟ »

قالت مفكرة :

ـ « هناك طريقتان لدراسة الظاهرة . . أن تراقب المسئولين وترى كم منهم سيموت فى الأسابيع القادمة ، أو تفحص حالات الذين ماتوا محاولاً فهم السبب . . . من المستحيل أن نراقب كل المسئولين المهمين أثناء النوم ، ومن الصعب أن تجمع أخبار هؤلاء الذين ماتوا بدقة . . أعتقد أننا أمام مهمة مستحيلة »

نهض باسمًا وصافحها فى حرارة :

ـ « المهمة : المستحيل . . . بالضبط . . . مثل عنوان المسلسل والفيلم الشهير . . أكاد أسمع موسيقا (لالو شيفرن) الرائعة . . هذه هى مهمتك . . عليك أن تعرفى، ولتعلمى أن خلفك جهازًا كاملاً يسعى للحقيقة »

★ ★ ★



٢ ـ استدعاء ليلى . .

الأحلام هى : ما رأيناه . . ما سمعناه . . ما خبرناه . . ما نتمنى أن نجربه . . ما نحن مرغمون على أن نجربه . . . ما تخيلناه . . ما هو طبيعة فى جسمنا . .

أساتذة اليوجا

★ ★ ★

تغادر دكتورة إنجى مكتب اللواء مراد . .

عرفنا إذن أن اسمه اللواء مراد ، ومن الواضح أن كل مسئول خطير اسمه مراد على الأرجح . كانت السيارة تنهب بها شوارع المدينة وهى عاجزة عن اتخاذ قرار . . لابد من نقطة بداية تتحرك عندها . .

أخيرًا توقفت بالسيارة أمام بناية فاخرة فى الزمالك . ترجلت واتجهت إلى المصعد عارفة أنها ذاهبة إلى الطابق الثامن . . هذه شقتها كما هو واضح . .

إنها ثرية وذوقها راق . . الشقة كلها استعراض للون الأزرق بدرجاته ، وقطع الأثاث بسيطة فاخرة . . ككل المهتمين بالنفس كانت هناك لوحات لفان جوخ ولوحة الصرخة الشهيرة لمونش . . اللوحة التى تزلزل أعصابك بصرخة غير مرئية ، وتشعرك بأنها تدوى فى أعصابك ذاتها .

هناك مكتبة أنيقة رفوفها من زجاج ، وهناك سبوت لايت يلقى الضوء

على كعوب الكتب . . استطاعت أن تقرأ أسماء فرويد ويونج وأوتوفنخل ومتشنسون وبيرل . . تعرف بعضهم ولا تعرف الآخرين ، لكن د . إنجى تعرف طبعًا . .

هناك جهاز هاى فاى ضغطت على زر فيه فانبعثت موسيقا هادئة منومة . .

المطبخ ضيق أنيق ، وهناك منضدة فى المنتصف عليها طبق فيه بعض قطع البفتيك . . . هناك طبق آخر فيه مكرونة باردة . .

ومن مكان ما ظهر كلب رتريفار صغير راح يتواثب حولها بالبلاهة المحببة المميزة للكلاب . . كان هناك طبق معدنى صغير على الأرض ، فأمسكت بقطعة بفتيك ووضعتها له . .

هذه شقة امرأة وحيدة . . لا شك فى هذا . . لا يوجد أثر للرجال هنا . .

النظام المبالغ فيه والأناقة والنظافة وكمية الطعام المقتصدة . . هذه أشياء تدل على عدم وجود رجال ، وإلا لتحول المكان لبيت الخرتيت فى حديقة الحيوان . .

العيب الوحيد كان أن هناك أكثر من مطفئة سجائر فى المكان ، وكلها مليئة . . واضح أنها تدخن كالعجوز رفعت إسماعيل . وهذا أورث الشقة رائحة خانقة فعلاً ، كما أنك لا تقدر على تبين المكان إلا وسط ضباب يذكرك بالصباح الباكر على الطريق الزراعى فى يوم قائظ ــ

دخلت غرفة النوم، وانتقت منامة حريرية وبدأت تنزع ثيابها . .

هنـاك جهـاز تحكم عن بعد . . ضغطـت عليه فأضيئت شاشـة التلفزيون . .

هى امرأة مستقلة . . . امرأة لم تحتج إلى الرجل فى حياتها قط ، ويبدو أنها لن تحتاج . . يبدو كذلك أن الرجل لن يحتاج لها إذا ما تذكرنا وجهها الصارم . . . التعامل معها يحتاج لبراعة وسيطرة كأننا فى قفص الأسود فى السيرك.

استلقت فى الفراش وراحت تتابع أحداث فيلم غربى ، وقالت لنفسها إنها ستنام كفطيرة ساخنة . . لابد أن خبيرة النوم تجيد فن النوم . .

لكنها نظرت إلى الكومود جوار الفراش فأدركت فى رعب أنها مصابة بالأرق . . هناك جبل من مشتقات البنزوديازبين والزاليبلون والزوبيكلون . . والكلورال هيدرات . . واضح أن النوم عصى عليها لا يأتى إلا بالأدوية . هذا على كل حال يتفق مع شخصية المرأة العصبية المفرطة فى التدخين .

هكذا ابتلعت قرصًا من الزوبيكلون بكوب ماء ثم استلقت تنظر للسقف وتسترجع أحداث اليوم . .

جاء النوم كالعادة دون أن تعرف متى جاء . فجأة تدرك أنك فى عالم آخر . .

كانت هناك أمور مبهمة تحدث ، فلم تتبينها . . الأحلام التى لا تصحو منها بسرعة تنسى فورًا . . .

هى تعرف جيدًا أن المرء يقضى ستة أعوام من حياته فى الحلم (بمعدل ساعتين كل ليلة) ، ولكن هاتين الساعتين تتمددان جدًا جدًا ليحدث فيهما أى شىء . .

عالم الرموز الغامض الذى حاول كثيرون أن يفكوا مفاتيحه . . .

هل هى قمامة اليوم كما يقول علماء النفس ، أم أن بطاريات المخ تعيد شحنها ، أم أن الشهوات والرغبات المكبوتة طيلة اليوم تحاول الخروج لتعلن عن وجودها ، أم هو المستقبل يلمح لنا بما هو آت ، أم هى مسرحية تؤديها الأرواح وقد اختارت لها أدمغتنا ؟

لا نعرف . . .

فقط يبقى الحلم . . من دونه نتلاشى ونضيع . ومن دونه يختل جهازنا العصبى وننهار .

لا تعرف ما رأته فى الحلم لأن . . . .

ترررررررررررررررررررررررررررررررررن !

صوت الهاتف المحمول المزعج حيث وضع جوار فراشها . فعلاً شخصيتها تتسق مع ذلك . . لا تختار نغمة لهاتفها سوى صوت الرنين الصارم يذكرك بصوت الهاتف الأرضى العادى .

تناولت السماعة ونظرت للساعة المضيئة على السقف . . هناك ساعات تعكس الوقت على السقف كأنه شاشة . رأت أن الساعة 32 : 3 صباحًا . .

من يتصل فى هذه الساعة . وغد يتحرش ، أو عاشق ولهان ، أو سفاح لن يتكلم بل سيلهث فى السماعة . . فلتر . .

لم يأت صوت من هذا بل هو صوت اللواء مراد الآمر المسيطر يقول لها :

ـ « هل أنت نائمة ؟ »

هذا الرجل لا ينام إذن . . ويتوقع أن تكون متيقظة مثله . بالنسبة له يبدو النوم فى ساعة كهذه عملاً رقيعًا للغاية . فقط الأغبياء ينامون ليلاً . . .

قالت فى ضيق :

ـ « آسفة . . هذه عادة سيئة »

وتثاءبت . . فهدر فى السماعة :

ـ « هناك مسئول لم يمت ! »

ـ « هذا خبر مهم . . . من الطريف أن تجد مسئولاً لم يمت فى هذا الزمن الخطر ! »

قال فى غلظة :

ـ « لا أمزح . . لقد كان مرشحًا لينضم للقائمة لكنه لم يمت . . نجا فى اللحظة الأخيرة . سوف يكون مفيدًا لك »

ـ « ليكن . . سأقابله غـ . . . »

قاطعها فى عصبية :

ـ « لا يوجد غد . . الأمر عاجل وخطر . . هناك سيارة تنتظر على باب البناية . . نتوقع أن تستعدى للخروج خلال سبع دقائق . . »

ـ « لكن الساعة . . . . »

لكنه كان قد وضع السماعة .

ظلت تحملق فى الهاتف للحظات فى غباء . مقاومة النعاس والقرص المنوم والخروج فى البرد وساعة كهذه . . أمر قاس فعلاً ، لكنها تعرف أنهم قادرون على إزعاجها ولربما تحطيم الباب ليحملوها حملاً . . لا يوجد مزاح فى أمور كهذه . .

هكذا نهضت وهى تسب وتلعن وتتثاءب وارتدت ثيابًا ثقيلة ، وهرعت تغادر الشقة بينما الكلب ينظر لها فى دهشة . . استقلت المصعد لأسفل ، وسرعان ما كان صوت كعبيها يدقان على رخام المدخل . . .

بعد دقيقة كانت السيارة السوداء تقلها إلى نفس المكان السابق . الفارق هو أنها لم تكن تقود هذه المرة .

★ ★ ★

فى المستشفى تقدمها اللواء بقامته الفارعة عبر ردهة طويلة ، وهناك أدركت أن الأمر جلل لأن عددًا كبيرًا من رجال الحراسـة الخاصة كانـوا هناك . . يضعـون السماعات فى آذانهم وستراتهم منتفخة بمدافع العوزى أو المسدسات . ومتوترون كالقطط البريـة . . لو مرت ذبابة لحدثت مجزرة . .

كان هناك من يتكلم فى جهاز لاسلكى :

ـ « الأحوال مطمئنة . . حول ! »

كل هذا والأحوال مطمئنة ؟ ماذا لو كانت مقلقة أو مخيفة ؟

فتح اللواء باب غرفة يقف على بابها حارس ببدلة سوداء أنيقة لكنها منتفخة كأنه دب أرغم على ارتداء بدلة. وتقدم للداخل . .

هناك رجل فى الفـراش وقـد وقـف طبيب جـواره يفرغ محقنًا فى ساعده . .

قال لها اللواء همسًا :

ـ « عصام السمدونى . . أنت تعرفين من هو فلا داعى لأن أشرح خطورة الأمر . . »

لم تكن قد سمعت عن هذا الرجل حرفًا . . لكنها أدركت أنهم سيعتبرونها بلهاء لو سألت . . وقد أدركت أنه رجل بالغ الأهمية فى الدولة ، ومنصبه خطر . . لو مات كالعادة لكانت كارثة . .

دنت من الفراش أكثر فرأت رجلاً مهمًا . . أنت تعرف شكل الناس المهمين . . كلهم يبدون مهمين، لكنه كان منهكًا ووجهه شاحبًا والعرق يغمره . . وأدركت أن الطبيب حقنه بمهدئ ما . .

جلب لها أحدهم مقعدًا فجلست على بعد خطوات من الرجل . .

قال اللواء فى وقار :

ـ « عصام بك . . دكتورة أنجى مهتمة بالموضوع وسوف تستمع إلى قصتك »

التفت الرجل نحوها بعينين حمراوين ثم فتح شفتيه اللتين ألصقهما اللعاب الجاف ، وقال بصوت كالفحيح :

ـ « لو لم أثب فى النهر البارد لهلكت ! »

أى نهر ؟

قال اللواء مراد :

ـ « قرينته لاحظت أنه نائم يصرخ ويتشنج . . حاولت أن توقظه فلم يصح . . أمسكت بكوب ماء بارد فسكبته عليه . . صحا مذعورًا لا يصدق أنه نجا »

إذن هذا هو النهر البارد الذى تسرب إلى الحلم . . هذا شىء معتاد . . لكن ما هو الحلم نفسه ؟

قال عصام بك وهو ينظر للسقف :

ـ « كنت أركض فى غابة مظلمة . . الأغصان تضرب وجهى، وشعور بالذعر يغمرنى . . قدمى تتعثر فى الأوحال . . أدرك جيدًا أن هناك من يقتفى أثرى »

قالت عبير فى برود :

ـ « أحلام المطاردة شهيرة جدًا . . لقد كتب عنها يونج كثيرًا . . . غالبًا لا ترى وجه مطاردك . . هذا يوحى على الأرجح بأنه شىء تخشى مواجهته فى ذاتك أنت »

لم يفهم أحد ما تقول، فواصل الرجل سرد الحلم :

ـ « كنت أعرف أن هذا الذى يطاردنى كان حبيسًا لفترة . . أنا حبسته . . ويبدو أنه تحرر . . لذا كان الرعب قاتلاً . وجدت نفقًا طويلاً فدخلت فيه

ورحت أركض عالمًا أن هذا تصرف غبى جدًا . . . لو بلغ النفق فلسوف يظفر بى ، لكنى كنت أتصرف بغباء وأعرف أننى أتصرف بغباء . . . أخيرًا خرجت من النفق ونظرت للخلف فرأيت ظلًا عملاقًا فارغا يهرع عبر النفق . . لم يبد لى بشريًا لكنى لم أفهم ما هو . . واصلت الركض وقلبى يتواثب . كنت أعرف أنه لن يتحمل أكثر . . . وفجأة أدركت أننى أقف على حافة جرف عال جدًا . . نظرت للخلف فرأيته قادمًا نحوى . . نظرت لأعلى الجرف . . رأيت الماء يتلاطم . هذا نهر ذو تيار سريع ولاحظت بعض البقاع فى الماء حمراء . . . بعد لحظة تردد اتخذت قرارى ووثبت فى الماء . فضلت الغرق على أن أواجه هذا الشىء . . . وفى اللحظة التالية كنت فى فراشى أرتجف وزوجتى تهدئ روعى . . »

كان يتكلم وهو يرتجف كورقة . . صوته ورعبه جعلا اللواء وعبير يشعران بأنهما يريان الحلم ذاته . برغم هذا كان كابوسًا عاديًا جدًا . . كل الكوابيس هكذا لو أردت رأيى . .

ابتلعت عبير ريقها وسألته :

ـ « هل حلمت بكابوس كهذا من قبل ؟ »

قال في فخر :

ـ « أنا لا أحلم بتاتًا ! . . . لا أرى أحلامًا طيبة أو سيئة . . من الصعب أن أبدأ نشاطى فى الأحلام برؤية كابوس »

هذا يتفق مع نمطه . . الرجال المهمون لا يحلمون ولا يملكون خيالاً .

يتركون الأحلام لرائقى المزاج من أمثالنا . علاقتهم بالأزهار هى تحويلها لمربى .

قال اللواء بلهجة (وجدتها) الشهيرة :

ـ « هذا هو . . !. . . كان قلبه سيتوقف وكنا سنجده فى الفراش صباحًا مثل الآخرين . . لكن زوجته أجادت التصرف »

ثم خطر له شىء فقال :

ـ « لكنها سكبت الماء عليه فى نهاية الكابوس . . بينما رأى النهر قبل هذا . . . فكيف صار هناك نهر قبل أن يثب فيه ويشعر بالبلل ؟ »

قالت عبير وهي تتحسس خصلات شعرها :

ـ « هـذه أحـلام المنبـه . . الحلـم يتم تأليفه من لحظة الاستيقاظ بالعكس ! . . . شعر بالبلل فتم تلفيق حلم ينتهى بالغرق . . والغريب أنه يراه بأثر رجعى . . كأنه فيلم تراه من نهايته »

ـ « لن أفهم هذا أبدًا . . »

ثم وضع يده على كتفها وقال بهدوء :

ـ « يجب أن نتكلم فى مكان آخر فهو بحاجة للراحة »

هكذا نهض الاثنان خارجين من الغرفة ، وهناك فى استراحة صغيرة بالمستشفى يحيط بها الرجال الذين توشك ستراتهم على الانفجار بما فيها من عضلات وأسلحة ، وحيث مطفأة السجائر توشك على أن تفيض مما فيها من أعقاب . هناك قال لها وهو يضع ساقًا على ساق :

- « نحن نتكلم عن عقار يصيب الأشخاص المهمين بالكوابيس . . لدرجة أنهم يموتون وقد توقف قلبهم ! . . هل من شىء كهذا ؟ »

فكرت قليلاً . قائمة العقارات التى تسبب الكوابيس طويلة فعلاً ، ولعل أشهرها عقار الريزربين الذى يجمع بين الكوابيس والاكتئاب . . لكن هذه كلها تفاعلات بسيطة محتملة . لا يوجد عقار يسبب الكوابيس لدرجة أن يتوقف القلب ، ما لم يكن هذا اختراع مخابرات لا تعرفه . . عقار ابتكره العالـم الروسـى (ميخائيل ميخائيلوفتش) وتستخـدمه الكـى جى بى فى القتل . . إلخ . . إلى آخر هذا الكلام الذى لا ينتهى . .

تثاءبت . . هى لم تظفر سوى بساعتين من النوم على كل حال . . سألته :

- « هل من شىء يمكن أن أفعله الليلة ؟ »

- « على قدر علمي . . لا »

- « إذن هل من عائق يمنع اصطحابى لبيتى . . ؟ »

فكـر بعض الوقـت ثـم أدرك أنه لا يوجـد مانع فعلاً . . . هز رأسه موافقًا . .

قالت وهي تنهض :

- « سـوف أفكـر فى ذلك الحلم بشكل أكثر هدوءًا . . يجب أن أرجع لكتبى »

★ ★ ★

٣ - الأمور تتعقد . .

لم تنم د . إنجى / عبير وإنما جلست فى الفراش لفترة طويلة .

بدأ ضوء الفجر يتسرب من خصاص النافذة ، وهى جالسة القرفصاء تدخن بلا توقف . فى النهاية أدركت أنها تضيع وقتها . نهضت لتفتح النافذة فيتسرب الضوء الأزرق الساحر الذى يشعرك بالبرد نوعًا . . .

كان الكلب غافيًا جوار الفراش . .

نهضت وبحثت فى رفوف المكتبة عن كتاب تفسير الأحلام للعلامة ابن سيرين ، وهو عالم غزير العلم . . لكن الحقيقة هى أن الكتاب المنسوب له والذى يباع فى كل مكان ليس له . لم يقل أى واحد من معاصريه أنه كتب فى تفسير الأحلام . . الكتاب الموجود هو للعالم أبى سعد الواعظ . .

قلبت صفحات الكتاب بحثًا عن النهر . . . النهر الذى غرق فيه عصام السمدونى فى الحلم . النهر حسب الكتاب هو الرجل المنيع ذو السلطان . . . أما السقوط فى الماء فهو حزن يخرج منه . .

هناك غابة فى الحلم . . الأشجار حسب الكتاب هم الرجال الضخام الذين لا خير عندهم . .

لو استخدمنا الكتاب فى التفسير ، لقلنا إن عصام السمدونى سيطارده رجـال أقوياء أشداء ، فيهرب منهم . . لكنه يلجأ لشخص منيع قوى النفوذ . . .

هذا التفسير اللغوى لم يرحها كثيرًا . .

مدت يدها لكتاب تفسير الأحلام لدى فرويد . .

كانت تعرف ما سيقول تقريبًا . . كل شىء رمز جنسى ، وحلم عصام السمدونى يعج بهذه الأمور . . الأشجار والنفق . . لكنها لا تعتقد أن لدى المدعو عصام كبتًا جنسيًا يقاومه . .

حسب الكتب الغربية الأخرى ، فالغابة تدل على الحيرة . . لو كنت تعرف طريقك فيها فأنت مولع بالمغامرة . . .

النفق رمز معروف . . لا داعى للتفسير . .

أما النهر فيعبر عن استقرار الحالة النفسية . . كان النهر متوترًا ثائرًا . . . السقوط فى النهر يدل على الرغبة فى أن تطهر عواطفك وروحك . . الأجزاء الحمراء فى الماء تدل على كمية غضب وغل موشكة على التحرر . .

لو جربنا طريقة التحليل الغربية ، لقلنا إن لدى عصام مشاكل كثيرة تجعله متخبطًا حائرًا . . ولديه استعداد هائل للغضب والانفجار فى الناس ، وهو يجد الراحة فى علاقات أنثوية عديدة . . .

كل هذا جميل لكن ما معناه ؟

هل عصام السمدونى سيطارده رجال أقوياء أشداء ، فيهرب منهم . . ويلجأ لشخص منيع قوى النفوذ ؟

أم لدى عصام مشاكل كثيرة تجعله متخبطًا حائرًا . . ولديه استعداد هائل للغضب والانفجار فى النـاس ، وهو يجد الراحة فى علاقات أنثوية عديدة ؟

أى التفسيرين تفضل ؟

وماذا عمن يطارده فى الكابوس ؟ جزء من روحه لا يريد أن يعرفه . . .

وحتى لو فسرنا هذا الحلم، فلماذا اختار هذه الليلة بالذات ؟

أسئلة لا حصر لها . .

نهضت لتعد إفطارًا لها مع الكلب الذى صحا من النوم ، وكانت غارقة فى التفكير . .

كانت تعرف أنها تعمل فى كلية الطب فى قسم وظائف الأعضاء ، وهى مختصة بأبحاث النوم فقط . . كما تعرف أنها لن تذهب للعمل اليوم . .

يبدو أنها لن تقوم بأى شىء سوى التحقيق فى هذا الموضوع ، وهو على كل حال بالغ الأهمية ويؤرق الكثيرين . . الأمر لا يحتمل المزاح أو المزاج . .

لكن من أين تبدأ ؟

★ ★ ★

سلخت بيدى جلود كل من قبضت عليهم من أسرى (عيلام) !

ثم نمت فكانت أحلامى بهيجة مفرحة . .

وتلك شيمة المحارب . .

أشور بانيبال فى نقش جدارى

★ ★ ★



عند الظهر دق جرس الباب ففتحت ..

كان هناك شابان من الطراز مكتنز العضلات الذى يلبس بدلة موشكة على الانفجار بسبب السلاح ، وقد نظرا لها فى شك ثم ناولاها ملفًا من اللواء مراد .. نظرت لهما فى ريبة فنظرا لها فى كراهية ...

أغلقت الباب فى اشمئزاز وعادت للداخل وراحت تخرج ما فى الملف ..

هناك قائمة بأسماء من ماتوا وهم نيام ، وهناك ملف صغير عن كل واحد منهم ...

السيد الشناوى

منصور بيومى

مراد وصفى

أحمد جاد

جورج باسيلى

كلهم مهمون جدًا وقد ماتوا خلال ثلاثة أيام تقريبًا ، وكاد عصام السمدونى يلحق بهم .. بالفعل هناك شىء مريب يحدث .. لا يمكن أن تكون صدفة . لو أن كلًا منهم مات بطلقة بندقية لكان الأمر سهلاً ، ولكان التفسير قريبًا .. لكن موتهم وهم نيام أمر غريب ..

الأحلام عالم غريب شديد التعقيد ، وهى تمثل لغزًا لم يحل حتى هذه اللحظة ، لهذا هى عالم فاتن ..

هناك كلام كثير عن مادة DMT التى يفرزها المخ فتسبب الحلم ...

إنها فى ذروتها أثناء الحلم وقبل الموت مباشرة .. فهل الموت ضرب آخر من الحلم إذن ؟..

عندما ننام يبدأ النـوم هادئًا ثم يدخـل مرحـلة عصبية يرتفع فيها ضغط الدم ومعدل التنفس ويضغط النائم على أسنانه ثم تبدأ حركة العين السريعة REM .. وهذه هى المرحلة الأهم التى يكون فيها الحلم . يسمون هذه المرحلة مرحلة النوم المتناقض Paradox sleep وتستمر ساعتين على الأغلب . تتكرر عدة مرات فى الليل . اكتشفها العالمان (كلايتمان) و(أرسينسكى) عام ١٩٥٢ ، وزعما أنها مهمة لنمو المخ ولتدعيم ذكريات اليوم . وفترته تزداد طولاً كلما كان الكائن أضعف ، لذا يكون أغلب نوم الأطفال REM .. من المعتاد أن تفقد العضلات قوتها فى هذه المرحلة ، وإلا كرر النائم ذات ما يفعله أثناء الحلم .. يضرب ويحرك قدميه كأنه يجرى .. الحق أن النظر للنائم فى هذه المرحلة مخيف ...

إن أدوية الاكتئاب تلغى فترة الـ REm هذه ، وهذا يساعد فى شفاء الاكتئاب ..

نفس المرحلة الفسيولوجية تمر بها بعض الحيوانات التى تتظاهر بالموت عندما يهاجمها عدو .. تمر بطور REM مع تغيرات واضحة فى جذع المخ الذى يتولى كل شىء .. هل الحلم هو تطور لتلك الظاهرة القديمة ، تمثل لينا نفس ما تمثله الزائدة الدودية ؟

عندما توقظ النائم فى هذه المرحلة فهو يتذكر الحلم جيدًا . عامة كلما

كان الحلم أطول وأكثر درامية تذكره النائم . وما يقع فى الحلم يقع من تلقاء نفسه كأنك تشاهد التلفزيون . لا تقدر على التدخل إلا فى أحلام خاصة هى الأحلام المتجلية Lucid dreams . فى هذه الأحلام يمكنك التفاعل وتغيير الأحداث لأن تعرف أنك تحلم . .

لم يفهم الإنسان معنى الأحلام قط ، لهذا افترض القدماء أنها اتصالات من آلهة أو هى أرواح الموتى . .

فيما بعد جاء فرويد ليقول إن الأحلام كلها رغبات محبطة لم تتحقق . . رغبات مكبوتة . . وهذه الأحلام تعكس اللاوعى لدى المريض بشدة ، لذا يمكن استخدامها فى التحليل النفسى بشكل ممتاز . بعض النظريات قال إن الأحلام لا تمثل اللاوعى لكنها تمثل الذكريات البعيدة . . .

تلميذ فرويد المشاغب كارل يونج اعتبر الحلم رسالة يرسلها العقل الباطن للنائم . وقد ربط بشدة بين الأسطورة الشعبية والحلم . . إن ألف ليلة وليلة لها نفس تكوين الحلم .

قال كثيرون إن الأحلام مجرد عملية تنظيف قمامة يومية مثل ما يحدث عندما نغلق الكمبيوتر ، وفى هذه العملية يتم التخلص من الأفكار غير المكتملة والذكريات التى لاقيمة لها ليكون المكان نظيفًا صباح اليوم التالى . . بينما قال آخرون إنها عملية تعلم مستمرة . .

قال آخـرون إنها عمليـة تدريب دائمـة علـى الخطـر والتهـديدات . . فى الماضى كانت التهديدات على حياتنا خطيرة ؛ مثل الوحوش والزلازل . .

إلخ . . الكوابيس عملية تدريب مستمرة على هذه المخاوف حتى لا ننساها وسط رخاوة المدنية . .

قال البعض ومنهم هوبسون إننا فى مرحلة حركة النوم السريع نعيد تنسيق الذكريات . . الذكريات القريبة قصيرة المدى تصنف لتدخل ضمن الذكريات البعيدة . .

ما هى الحقيقة ؟

كل ما يتعلق بالحلم غامض ساحر كأنه حلم !

★ ★ ★

عند الظهر ذهبت للمستشفى لتقابل عصام السمدونى .

تفحص ألف واحد بطاقتها الشخصية ، ومرر ألف واحد العصا المغناطيسية على ثيابها ، وفتح ألف واحـد حقيبتها ، ومـررت ألف امرأة يدها عليها للتأكد . . فى النهاية أجرى ألف اتصال بين ألف فرد حراسة متشكك ، ووجدت نفسها فى الغرفة التى دخلتها أمس بسهولة مع اللواء مراد . .

كان عصام السمدونى يجلس فى الفراش ، وجواره امرأة شائبة أنيقة واضح أنها المدام ، وكانت تدس حبات العنب فى فمه . . واضح أنها تهوى سكب الماء البارد على من يعانون الكوابيس . .

كما قلنا كان رجلاً مهمًا لهذا يبدو كالمهمين الآخرين . شعر أشيب فضى وشارب أبيض كث . . . نظرة حادة فى العينين برغم الإرهاق العام . .

قال لها على الفور :

ـ « هل تريدين شيئًا يا دكتورة إنجى ؟ »

هو إذن ممن لا ينسون الأسماء بسرعة .. كان مرهقًا شبه غائب عن الوعى ، وناداها مراد مرة واحدة .. برغم هذا لم ينس الاسم ..

ـ « أريد المزيد من التفاصيل عن كابوس أمس »

ابتسم وقال :

ـ « أم اليوم ؟ »

نظرت له فى حيرة غير فاهمة فأردف :

ـ « لقد أغرقـونى بالمنومـات .. صبـاح اليـوم رأيت أننـى فـى ذات الغابة .. كنت أركض خائفًا وذلك الشىء من خلفى .. نفس شعور أنه كان حبيسًا وتحرر ... نفس الرعب والركض... لكنى فى هذه المرة لم أدخل النفق .. لقد وجدت صخرة تسلقتها فصرت فوق سقف النفق ، وارتميت على بطنى أراقب ... أردت أن أراه بالكامل دون أن يرانى .. لا يمكنك مشاهدة شىء بوضوح وأنت تركضين هاربة منه . هكذا انتظرت للحظة ثم رفعت رأسى فأدركت أننى فى مأزق كارثى .. كان يقف خلفى وأنا على الأرض غافلاً عنه . صرخت ووثبت من فوق النفق .. هذه المرة كان هناك قطار فى الطريق العكسى .. ثم .. ثم ... »

قالت الزوجة في قلق :

ـ « كان على أن أصفعه هذه المرة ليصحو .. من حسن الحظ أننى كنت جالسة جواره »

ـ « صحوت قبل أن ألمس القطار ، لكن كان بوسعى تخيل المعدن الثقيل يمزق جسدى .. كان بوسعى سماع صوت تهشم العظام .. »

توترت عبير / إنجى .. هذه إذن من الأحلام التى تستكمل فى أجزاء تالية ، وهى معروفة على كل حال .. لكن المفزع هنا أن الخطر ما زال قائمًا .. ينتظر فى كل حلم ...

تفر إلى دارك هربًا من ذلك الغريب الذى يقفو أثرك ، وتتوارى عدة ساعات فتشعر بالأمان .. تخرج للشارع من جديد فتجده واقفًا هناك عند الناصية بانتظارك ... أنت لم تهرب .. سوف تبدأ المطاردة من جديد ... هذا شىء مخيف ...

ابتسم عصام لما رأى ذعرها وقال بلهجة من يستمتع بهذه الأخطار :

ـ « هل فهمت ؟ إنه هناك ينتظرنى ! ... لن يتركنى أهرب أبدًا .. أنا أحاول البقاء متيقظًا وأثرثر مع زوجتى وكل من يدخل الغرفة ، لكنى فى لحظة سوف أتخلى عن يقظتى .. عندها سيكون هناك بانتظارى ... »

خطر لعبير أن هذا سيناريو فريد من نوعه ..

تعرف سيناريو الحارس الذى يخشى أن يغلبه النوم فيقتله السجين أو .. لكن هنا ينتظر الكابوس لحظة النوم لينفرد بالرجل ...

ما معنى هذا ؟

★ ★ ★



٤ـ لا تنـــم ..

انتهت إنجى / عبير من أخذ التفاصيل كلها ..

هذا حلم أقرب للأحلام المتجلية ، حيث تعرف أنك تحلم .. وتملك بعض القدرة على تغيير الأحداث .. جمعت أوراقها واتجهت إلى الاستراحة ..

هناك جلست وأخرجت علبة التبغ كعادتها ، وأشعلت لفافة ثم راحت تقلب الأوراق ..

هناك أدوية كثيرة تسبب الرؤى والهلاوس ... المورفين نفسه اشتق اسمه من (مورفيوس) إله الأحلام عند اليونان .. الأتروبين يسبب الهلاوس .. الريزربين يسبب الكوابيس .. السيبروفلوكساسين يسبب الكوابيس ... أدوية القلب مثل أتينولول تسببها .. أدوية الكولستيرول مثل الأتورفاستاتين تسببها ..

سحبت نفسًا عميقًا ...

هناك على الأرجح من استطاع أن يدس سمًا لهؤلاء المهمين .. من يفعل ذلك ؟ جهاز مخابرات طبعًا .. لا أحد سوى جهاز مخابرات يقدر على ابتكار عقار اسمه (ل ـ ٥) أو (ر ـ ١٨) وهذا العقار لا يستطيع التشريح أن يجده .. وليس معروفًا عالميًا .. وجهاز المخابرات هذا قادر على الوصول لكل هؤلاء الذين ماتوا ..

يبدو الأمر معقدًا جدًا ....

لا يوجد جهاز مخابرات قادر على ذلك .. الشياطين فقط تستطيع ..

لكن الإجابة كما هو واضح مع عصام السمدونى .. إنه الوحيد الذى استطاع أن ينجو ويحكى ما رآه . هذا يشبه ما يراه أولئك العائدون من تجربة الدنو من الموت .. هؤلاء وضعوا أقدامهم على الحافة ، ثم لظروف ما سقطوا للداخل من جديد ... السبب طبعًا هو أن أجلهم لم يأت بعد ..

عصام يعرف من تعامل معه مؤخرًا . من قدم له طعامًا وشرابًا .. من يدرى ؟ قد يكون هؤلاء الموتى حضروا جميعًا اجتماعًا ما أو تناولوا مأدبة ما أو شموا غازًا ما ..

يجب الحفاظ على سلامة هذا الرجل ..

لكن كيف يمكن ذلك ؟ لو جئت بفرقة قوات خاصة كاملة فلن يستطيعوا حمايته فى نومه ، ولن تقدر أبدًا على أن تمنعه من النوم طويلاً .. أنت بهذا تقتله ...

وهكذا أمسكت بورقة وبدأت تكتب أفكارها :

١ ـ الاتصال باللواء مراد .

٢ ـ الحصول على تحركات كل من ماتوا بحثًا عن شيء مشترك ..

٣ ـ استجواب عصام بدقة ورسم خارطة لتحركاته خلال آخر ٤٨ ساعة .

٤ ـ عمل رسم مخ لعصام .

٥ ـ خارطة الأدوية التى يتناولها عصام . هل هناك مخدرات ؟

٦ ـ علاقة عصام بزوجته .



بدا لها هذا مقنعًا . . هذه خطة محكمة وسوف تعرف أين يوجد الخطأ . . طبعًا ربما تكون هذه الوفيات مصادفة ، لكن من منذ متى تحدث هذه المفاجآت النـادرة ؟ لا شك أن أى خبير إحصائى سيتحدث عن احتمال واحد فى المليون .

هنا ظهر على الباب رجل أمن ممتقع الوجه . كان يصغى لسماعة أذنه فى رعب ، ثم قال لها :

ـ « د. إنجى . . ؟ »

ـ « أنا هى »

ـ « أرجو أن تلحقى بى . . لقد حدث شىء سيىء »

كانت تعرف الآن ما حدث . . . سوف تذهب للغرفة لتجدها مفتوحة والمرأة تصرخ وتلطم خديها ، بينما على الفراش يرقد عصام ميتًا . . لقد صار هذا السيناريو مملًا ، وكل مرة تشعرها بغباء شديد . .

أطفأت لفافة التبغ فى عصبية ونهضت . . .

مضت وراءه فى الممر ، لكنه اتجه نحو مجموعة من الرجال المهمين الذين يتحدثون فى قلق . . لابد أنهم سيتجهون جميعًا للغرفة . . سوف تطلب منهم أن يعفوها من المهمة ، فقد أثبتت فشلها وهى لا تريد أن تلام فى كل مرة . . .

نظروا لها جميعًا ، وقال كبيرهم :

ـ « كيف حدث هذا ؟ »

قالت فى ضيق:

ـ « كاد يحدث أمس ليلًا وكاد يحدث صباح اليوم . . لا يمكن منع الرجل من النوم »

ـ « لم ينم أمس بتاتًا »

قالت فى ملل :

ـ « إذن كيف حلم ورأى الكوابيس ؟ »

أصلح الرجل من وضع السماعة فى أذنه وقال :

ـ « لم يحلم ببساطة لأنه لم ينم . . اللواء مراد ليس من الرجال الذين يحلمون ! »

اتسعت عيناها وسقط القلم من يدها . .

إذن لم يكن عصام هو الذى مات ! . . . لقد التف الموت من الخلف ليهاجم من كان يطارده !

★ ★ ★

ليرحمه الله . .

كان مرهقًا للغاية . . سهرة أمس وكل هذا التوتر جعلاه يعود لبيته فى الثانية عشرة ظهرًا . قال للسائق أن يأتى ليأخذه بعد ساعتين . يعيش فى

فيلا فى المقطم ، وهو وحيد بعد زواج أولاده ووفاة زوجته . قال الخادم إنه كان مرهقًا شاحب الوجه . .

قالت عبير وقد شعرت أنها وجدت الحل هذه المرة :

ـ « وطلب كوب ماء . . كل من يصابون بنوبة قلبية يحدث لهم هذا . . . إرهاق ثم نوبة قلبية. الجواب سهل هذه المرة . . »

لكن طبيب اللواء يصر على أنه لم يمرض يومًا ولم يكن من هواة متاعب القلب . . لم ينضم يومًا لعضوية نادى الشرايين التاجية ولا التنظيم السرى لذوى ضغط الدم المرتفع . . كان رجلًا رياضيًا . .

ـ « لكن لابد من سبب يموت الناس به . . وإلا فنحن نعيش وسط الخالدين »

قال لها ذلك الضابط الكبير الذى يتواجد مع اللواء دومًا :

ـ « دخل إلى الفراش وأعلن أنه سينام بعض الوقت. لسبب ما شعر الخادم بأن الأمور ليست مريحة جدًا . . . ظل هناك فى الصالة لمدة ساعة، ثم تسلل إلى الحجرة وألقى نظرة على الفراش . . رأى اللواء يتلوى ألمًا وهو يحارب بيده خصمًا خفيًا لا نراه . . فقط يردد : ارحمنى ! . . ارحمنى ! . . . وبرز لسانه كأن هناك من يخنقه . هرع الخادم المذعور إلى الهاتف ليطلب ضباط الحراسة أو الطبيب أيهما أقرب . . . لما عاد كان اللواء على أرض الحجرة وقد برز لسانه وأزرق وجهه كأن هناك من خنقه »

ـ « هذا يحدث للبعض فى نوبات الصرع »

ـ « اللواء لم يشك من أى شىء فى حياته حتى الصرع »

ـ « وهل وجد التشريح شيئًا ؟ »

نظر الضابط فى عينها بثبات وقال بلهجة ذات معنى :

ـ « دكتورة . . أنت تعرفين أن ما قتل اللواء أو من قتله هو نفس ما قتل أو من قتل السابقين كلهم . . كل شىء يدل على ذلك . . . وباء الموت أثناء النوم بعد رؤية كابوس . . هذا ما حدث ببساطة وليس علينا أن نبحث عن تفسيرات أخرى. عندما تصدم سيارة رجلًا وتمزقه فنحن لا نقول إنه مات بسبب الالتهاب الرئوى »

هناك سيارة . .

لكن ما هى ؟ من يقودها ؟ ولماذا ؟

وفجأة خطر لها خاطر مرعب فصاحت :

ـ « عصام السمدونى ! »

ـ « عصام بك . . »

ـ « يجب ألا ينام ! »

★ ★ ★

كان هذا نوعًا من التعذيب الذى كان النازيون يمارسونه ، وفيما بعد قرأت عن تجربة النوم الروسية ـ وهى إشاعة غير حقيقية ـ حيث كانوا يرغمون الأسرى على البقاء متيقظين لعدة أسابيع . .

هذا تقريبًا ما فعلوه مع عصام السمدونى . .

طيلة الوقت كانت زوجته أو أحد رجال الأمن جواره يكلمه .. فإذا ثقل جفناه قرص خده .. بعد هذا يوجه له صفعة خفيفة . ثم يسكب الماء البارد على قفاه .. أحيانًا كان الأمـر يحتاج إلى الدبابيس أو عقب لفافة تبـغ مشتعلة ..

لابد أن النازيين لم يكونوا بهذه القسوة ..

وراح عصام البائس يردد :

ـ « أريد .. أن .. أنام .. »

ثم يغمض عينيه فتهوى صفعة على خده ..

راح اللعاب يسيل من فمه بعد ما صار عاجزًا عن غلق شفتيه . هالات سوداء كثيفة تحت عينيه .. شعره منكوش ... صوته مضعضع ...

ـ « أريد .. أن .. أنام »

لكنهم لن يسمحوا له بذلك ..

جاء الليل وشعرت بالإنهاك وتثاءبت عدة مرات .. من حقها أن تنام طبعًا فهى غير مهددة بالقتل . نظرت إلى ذلك البائس الجالس جوار الفراش يشرب القهوة بلا توقف وعيناه حمراوان ، ثم نظرت إلى الضابط الشاب الذى جاء للتو .. بالطبع لم يسمحوا لعصام بأن يتمدد فى الفراش .. بل إنهم أجبروه معظم الوقت على الوقوف فى مكانه ...

قالت للضابط الشاب :

ـ « سوف أخلد للنوم بعض الوقت .. أرجو أن تستمر فى مراقبته . متى يأتى زميلك ؟ »

ـ « بعد ساعتين »

كانوا قد قسموا الليل إلى أقسام كل منها مدته ساعتان ، وهكذا يصل في كل مرة شاب مفعم بالحيوية كأنه قد خلق للتو ، فيشرع فى جعل حياة عصام كارثية ..

تثاءبت من جديد كفرس النهر ، واتجهت إلى الاستراحة ..

كانت قد أعدت لنفسها ركنًا فيه السجائر والقهوة والمجلات والكتب ، ومع الوقت لم يعد أحد يحاول الاقتراب . كما أنها كانت تنزع حذائيها وتمدد ساقيها على مقعد أمامها فلا يعترض أحد ..

أغمضت عينيها وشعرت بالنعاس يتسلل .. أفضل طريقة لعلاج الأرق المزمن هى أن يكون عملك هو السهر !.. لهذا ينام الحراس الليليون والمسعفون ورجال الشرطة نومًا هانئًا .. لم تسمع قط عن ممرضة ليلية مصابة بأرق ..

هاااااااااااااااااو ...! تثاؤب ....

هذا المخزن الغريب .. رأت مثله فى طفولتها لكنها لا تذكر متى ... كانت هناك وكانت تلعب المساكة مع صديقتها . صديقتها ليست هنا .. لكنها ترى نفس الصناديق ونفس الثياب الرثة ملقاة هنا وهناك .. نفس الغبار ...

المكان مظلم مع رائحة عطن قوية . .

هى تدرك جيدًا أن عليها أن تظل هنـا . . يجـب ألا تخرج . . لماذا ؟ لا تعرف . .

شعور مريب مخيف بالحصار يدهمها . .

ثم ترى ظله هناك خلف الباب . . هناك نافذة من الزجاج المصنفر وهو خلفها . لا تعرف من هو ولا ترى ملامحه لكنها تخافه . . يطلق زفرة فيتغطى الزجاج بالبخار كما يفعل الفيلوسيرابتور في اللقطة الشهيرة من (حديقة العصر الجوراسى). لن تتحرك . . لن يراها لو ظلت ثابتة . .

يعبث فى مقبض الباب . . لا يوجد ما يمنع من أن يفتحه . . .

استدارت تبحث عن ملاذ . . . فئران . . هى لا تخشى الفئران كأى أنثى أخرى . تمقت كل علامات الضعف الأنثوى . .

فجأة سمعت من يقول :

ـ « هلم يا دكتورة إنجى ! . . . توارى وراء كومة الصناديق ! »

نظرت للخلف غير فاهمة فعاد يكرر النداء بلهجة تتوسل . .

ثم اقتحم أحدهم الباب . . . الشىء الضخم الذى كانت تخشاه بعنف . . . رائحته كريهة . . مخيف . . لكن له مظهر البشر برغم كل شىء . .

وسرعان ما وجدته يجثم على الرجل الذى أنذرها . . كان يقضم صدره . يقضم قلبه بلا تردد . .

كان الذعر أقوى منها فانطلقت هاربة . . . . خارج المخزن كان هناك منحدر زلق . . . ووجدت قدميها تسبحان بسرعة لأسفل . . لأسفل . . .

شهقة !

فتحت عينيها فإذا هى ما زالت فى استراحة المستشفى . . حولها الكتب والمجلات والتبغ . .

ماذا حدث ؟ هل رأت كابوسًا بدورها ؟

لقد صحت فى ذروة مرحلة REM وهذا معناه أنها تذكر كل تفاصيل الكابوس جيدًا . . .

شعور غريب يغمرها مع جفاف شديد فى حلقها . . صبت لنفسها بعض القهوة فى كوب ورقى وشربتها . . لماذا تشعر بهذا التوتر ؟

ماذا يقول ابن سيرين عن أحلام المخازن حينما يحذرك أحدهم من مقتحم على الباب ؟

يجب أن ترى ذلك المدعو عصام . .

عندما مضت للغرفة وهى ترتجف من البرد والتوتر ، لأن معدل الاحتراق فى جسدها كان منخفضًا بما يتفـق مع النـوم . . عندما تركها المجند الجالس على الباب تدخل ، كان أول ما رأته بالداخل هو الضابط الشاب وقد جلس على مقعد وشبك أنامله على مسند مقعد آخر ، ومن فوقهما وضع رأسه . . . كان مسرورًا جدًّا منتشيًا . . لابد أنه (يأكل رز مع الملائكة) كما يقولون . .

نظرت للجهة الأخرى فرأت (عصام السمدونى) على الفراش . . لقد جلس على مقعد وأراح نصفه العلوى على الفراش ، لكنها رأت عينيه الجاحظتين ونظرة الذعر فى عينيه . . أدركت كذلك أن وجهه متصلب . . وأن جسده ساكن وأنه لا يتنفس . . .

إنه ميت ..

لحظات غلب فيها النوم ذلك الحارس الأحمق فنام .. كانت لحظات كافية كـى يخدعـه عصام وينام بدوره .. وعندما نام انتظره قاتل الحلم وفتك به ..

لكن .. هذه الملامح ...

نفس الملامح التى رأتها فى الكابوس . كان عصام هو الرجل الذى طلب منها أن تتوارى خلف الصناديق ..

لقد كان فى حلمها ..

ثم ظفر به الشىء .. التهم قلبه فى الواقع ..

معنى هذا مخيف وغريب .. يتجاوز مبدأ توارد الخواطر أو الصدفة ..

لربما حلم بها عصام قبل موته ...

هذا الكابوس لديه القدرة على عبور الأحلام .. يعبر من حلمها لحلم عصام ببساطة وسهولة ..

★ ★ ★

٥ـ مختبر النوم..

نجاح تام ..

لقد مات عدد قياسى من الأشخاص المهمين فى فترة قصيرة ..

لو أن هناك من يفرغ بندقية سريعة الطلقات فيهم ، لكان الأمر أكثر منطقية ..

هكذا قررت أنها فشلت .. اتجهت لرجل الأمن الكبير الذى حل محل دكتور مراد ، وقالت فى ثبات :

ـ « أعتقد أننى فشلت .. لم أستطع فهم ما يحدث وليس لدى أى تفسير له . أرجو أن تقبل استقالتى من هذه المهمة .. لا أتحمل المزيد من الدم أكون أنا مسئولة عنه »

قال محتجًا :

ـ « لكننا نتحرك فى ظلام دامس ... نحتاج إلى رأيك »

ـ « وأنا ليس لدى رد .. لا أعرف من أين أبدأ ولا أملك نظريات بصدد هذه الوفيات . لو كلفتنى بقيادة غواصة فالنتيجة واحدة .. ولسوف أحمل ذنب كل من غرقوا مع الغواصة للأبد »

ثم جمعت أوراقها من دون أن تنتظر ردًا ، ووضعت هاتفها وعلبة تبغها فى الحقيبة وغادرت الاستراحة . توقعت أن يناديها أو يقول شيئًا لكنه لم يفعل ، ورأت من بعيد محفة يدفعها رجلان وعليها جسد مغطى بالملاءات ..

لسبب ما لم تستطع منع فكرة أنه ضحى بنفسه من أجلها . .

لعله يحلم الآن حلمه الأخير . . الحلم الذى سيظل يعيشه حتى يوم الحساب . .

★ ★ ★

عند باب المستشفى كان يقف . . .

يستند إلى الباب وهو ممسك بالقلم الجاف الزنبركى . . . يضغطه تك تتك تك . . على سبيل التسلية . هـذه الأقـلام مستفزة جـدًا وتتلـف بسرعة . . . الكل يمسك بالأقلام التى تلفها لتبرز السن ، لكنه رجل عتيق الطراز . . سبب هذا هـو أن مـدرس اللغة العربية هو نموذجها الذى بنت عليه المرشد .

لم يكن المدرس على كل حال بهذه السماجة وهذا البرود . .

لكن برود المرشد ومهنيته ارتبطا بفانتازيا جدًا . . لو كان أكثر حرارة وظرفًا لبدا الأمر غريبًا . . فلما رآها تقترب مشى جوارها وهو يدس يده الأخرى فى جيب بدلته السوداء الأنيقة . .

ـ « مرحبًا يا مرشد . . »

ـ « مرحبًا يا أليس . . . أنهيت المغامرة مبكرًا اليوم »

ـ « لابد أن أجد آثارًا على الرمال . . مدقًا تمشى فيه القوافل . . أنا لا أسحر »

ابتسم فى غموض وقال :

ـ « هذا حلم . . أعتقد أنك خبيرة فى أمور الأحلام . . فانتازيا نفسها حلم كبير »

قالت فى تهكم :

ـ « حلم عن الأحلام . . ألا ترى أنك تبالغ قليلاً ؟ »

ـ « المسرحية داخل المسرحية تقنية قديمة . . « هاملت » فيها مسرحية طويلة داخل المسرحية »

ـ « لست مرتاحة لقصة اليوم . . غامضة أكثر من اللازم »

ـ « هل ترغبين فى التغيير ؟ »

ـ « سيكون هذا رائعًا »

كانا يقفان أمام سيارتها التى تنتظر فى المرآب فتأملت صورتها فى الزجاج وقالت :

ـ « هذه من المغامرات القليلة التى لم تجعلنى فيها فاتنة شقراء . . »

ـ « على سبيل التغيير . . على كل حال أى صورة لك مهما كانت أفضل من الأصل »

ما معنى هذه العبارة ؟ . . لا يهم . . إنه سليط اللسان على كل حال .

ثم استند إلى السيارة الواقفة ، وقال بلهجة إغراء :

ـ « سوف أقدم لك عرضًا لا يمكن رفضه . . كل ما عليك هو أن تعودى للبيت وتنامى . . هكذا ستبدأ المغامرة . . هذا كل شىء »

- « تعنى أننى سأموت أثناء النوم كالآخرين ؟ »

- « ليس بالضبط . . . لكنك ستقتربين من ذلك جدًا . . لا شىء كالدنو من الموت يمنحك إثارة عظيمة . . هذا يكسر الملل فعلاً . . . »

فتحت باب السيارة وربطت الحزام ، ثم أدارت المحرك شاردة الذهن ، ونظرت له حيث وقف جوار النافذة :

- « هل تريد أن أقودك لمكان ما ؟ »

ضحك فى استمتاع :

- « هل تمزحين ؟ . . أنت فى عالم من الحلم وأنا الحلم ذاته . . يمكننى أن أكون فى أى مكان فى أى وقت »

- « وأنا مالكة هذا العالم . . لا تنس هذا »

- « بالطبع لم أنس »

وانطلقت السيارة تاركة هذا المرشد البغيض واقفًا يراقبها ويعبث بالقلم الجاف فى استمتاع .

★ ★ ★

المركز الذى تعمل فيه ليلاً يقع على بعد شارعين من بيتها .

الحقيقة أنها لم تكن تذهب هناك بانتظام . . ربما تمضى ساعة كل يومين . . وعامة لم يكن عملاً ناجحًا أو يجلب الكثير من المال ، لكنها كانت تحب ما تقوم به . .

هذا المركز مختص بالاضطرابات النفسية . . وقد أنشأته مع عدد من

زملائها دفع كل منهم مبلغًا من المال . . المكان يبدو كأى عيادة استثمارية فى مصر . مدخل ولافتة نيون ونباتات زينة . . . كاونتر رخامى عليه جهاز كمبيوتر وفتاة استقبال حسناء . مقاعد متناثرة ومن حين لآخر تصيح الفتاة :

- « أستاذ مرعى . . مدام هدى . . »

فيهرع أحدهم لباب من الأبواب الخمسة فى المركز . يمكنك أن تدرك من وجوه الجالسين أن كلاً منهم يمر بلحظات قاسية فى حياته . . التهاب زائدته النفسية . . سرطان فى روحه . . فتق فى شخصيته . . وفى الداخل ينتظر الجراح البارع الذى يعرف . .

جلست فى مكتبها عارفة أنها ليلة جرداء على الأرجح . . ساعة من النسكافيه ثم العودة للبيت ومحاولة النوم . .

جاءتها الممرضة لتخبرها أن هناك من يدعى (سيد خليفة) قد طلب موعدًا . سمحت له بالدخول . .

كان رجلاً بدينًا مرهقًا تحت عينيه هالات سواد كثيفة . . متأنق لكنه لم يجد الوقت ولا المزاج كى يهتم بلمسات بسيطة مثل ربطة العنق . كتفاه متهدلان كأنهما شماعة تحت السترة . .

لما تقدم منها قدم لها بيد ترتجف ورقة صغيرة . . أدركت أنه لم يأت لها مباشرة . لا أحد يأتى لها مباشرة لكن من أرسله طبيب نفسى آخر . .

اضطرابات نوم ؟ هكذا قالت الورقة . .

عندما جلس خليفة أمامها استطاعت أن تنتزع منه بعض التفاصيل. يعتقد أنه نام لكنه يصحو فى النهار مضعضعًا مهشم العظام . . لا يستطيع التركيز . . . ضغط دمه مرتفع جدًا . . علاقاته الزوجية ليست على ما يرام ويتشاجر بسهولة شديدة . . د

ـ « هل تدخن ؟ »

ـ « نعم . . كثيرًا »

وأثار غيظه أنه قال نعم . . . كل الأطباء يسألون هذا السؤال كمخرج للنجاة . . لو قال الطبيب إنه يدخن فلسوف يعلقون كل شىء على شماعة التدخين . هذا حل ظريف جاهز . . لو قال المريض إنه يعانى من نزف من عينه فالتدخين هو السبب . . لو أنجبت المرأة كائنًا فضائيًا له هوائى على رأسه فالتدخين هو السبب . .

ـ « هل تنام بشكل متواصل حتى الصباح ؟ »

ـ « أعتقد هذا »

ـ « هل ترى كوابيس ؟ »

ـ « الكثير منها »

كانت الإجابة الآن قد صارت قريبة جدًا . . هذا المريض يعانى من (توقف التنفس أثناء النوم) . . وهو مرض شائع . . لكن المريض قد لا يذكر الأمر عندما يصحو صباحًا ويواجه العالم مرهقًا عاجزًا كأنه قطعة من القطن . . كلما غاب فى النـوم اختنـق ونهض مذعورًا . . ثم يعاود النوم فيتكرر

الأمر . . كأنه ذلك التعذيب النازى الذى تكلمنا عنه ، أو ما كانوا يفعلونه مع عصام المسكين الذى أصر على الموت برغم كل شىء . يزداد هذا مع السمنة والتدخين ، وهناك قائمة أسباب لا بأس بها ، والحل ـ بعد وقف التدخيـن وتقليل الوزن وعلاج السبب ـ هو الجراحة أو استعمال الأكسجين المتقطع الإيجابى . . أى أن المريض ينام وقناع على وجهه يمنحه ضغط أكسجين مناسبًا . . . هكذا لا يختنق طيلة اليوم ويظل مجرى التنفس مفتوحًا . .

لكن ليس بوسعها اتخاذ قرار قبل أن تتأكد من التشخيص . .

ـ « نحن نحتاج لمختبر النوم »

نظر لها فى رعب . . مختبر نوم ؟ عم تتحدث هذه المخبولة ؟

شرحت له فى صبر معنى (توقف التنفس أثناء النوم) وكيف أنها لا تقدر على اتخاذ قرار من دون عمل دراسة مطولة حول تنفسه أثناء النوم .

ـ « وهذا يستدعى أن . . . . ؟ »

سألها في رعب وتوجس فقالت :

ـ « بالنسبة لك يمكن أن نجرى لك هذه الدراسة فى بيتك وفراشك . . سوف أخبرك بالطريقة »

شرحت للرجل المذعور ما تنوى عمله بالضبط . . . سوف يقضى ليلته بهذه الأجهزة ، وفى الصباح سيعود للمركز حيث يقومون بتفريغ الأجهزة ومعرفة ما حدث فى تلك الليلة السوداء . .

شىء مفزع ومزعج أن تمضى ليلتك مربوطًا بأقطاب وأسلاك . . . لكنه العلم . د. مصطفى بارع حقًّا ويجيد العمل فى مختبر النوم . . د. مصطفى خبير النوم رجل وقور أشيب الشعر له ملامح صلبة جافة كأنها منحوتة من خشب ، لكن عينيه صادقتان شفافتان . ليست كل الحالات خاضعة للنوم داخل المختبر . . الحالات المهمة والغامضة فقط ، أما عدا هذا فالمريض يجرى الاختبار فى بيته . .

كانت تفكر . . . لو أنها جمعت كل مسئولى البلاد المهددين وجعلتهم ينامون فى مختبر النوم لتراقب حركاتهم وضغط دمهم . عندئذ كان بوسعها أن توقظ كلاً منهم عندما تسوء الأمور .

لكن هذا مستحيل . .

الحل الوحيد هو أن تجد شخصًا هدده الموت ونجا مثل عصام ـ قبل وفاته ـ فتضعه فى هذا المختبر تحت رقابة صارمة . . .

غادر هذا الأخ الذى لا ينام مكتبها فأغلقت أوراقها . ظهرت الممرضة على الباب وابتسمت وحركت يدها حركة بمعنى (لا شىء) . فحركت عبير يدها حركة بمعنى (أنا عائدة لدارى) . . ونهضت . .

★ ★ ★

راح الكلب يتواثب حولها فى شغف ، بينما ابتلعت قرصًا من المنوم وقدمت له طعامه ثم دخلت إلى فراشها بينما لحن كلاسى ناعم يتسرب عبر السماعات .

تحب قراءة شىء خفيف ليلاً مثل مجلات الكوميكس البلجيكية . . اندهشت لأن فرنسيتها جيدة . . يذهلها أنها تكتشف فى نفسها شيئًا كل مرة . .

راحت تطالع ثم انزلقت المجلة من يدها فأطفأت الأباجورة . .

لماذا يزوم الكلب هكذا ؟ . . ماذا يوتره ؟ . . للأسف لا تقدر على النهوض لأن النعاس يهزمـ . . . .

★ ★ ★

٦ ـ الكابـــوس . .

هذا البرج الشامخ . . واقفة هى هناك والريح تطير ثيابها أو (تمضغ معطفها) على رأى نزار قبانى . أين هى ؟ يمكنها أن ترى المنطقة كلها . .

هذه التماثيل التى تمثل شياطين صغيرة تحيط بالسقف . إنها الكراجل Garglyles وهذا يعنى أنها تقف فوق أحد أبراج كنيسة النوتردام فى باريس . لم ترها قط لكنها تذكر مشاهد فيلم أحدب النوتردام . . فى فيلم ديزنى تتحرك هذه الكراجل وتتكلم . .

هى تعرف أن هذا حلم . .

لكن كيف تهبط من هنا ؟ الليل يقترب والسماء صارت زرقاء داكنة توطئة لأن تصير سوداء تمامًا . . سوف يصير الهبوط مستحيلاً بعد نصف ساعة . .

تتحسس الأرض بقدميها . . يبدو أن هذا البرج يقود لباب ، وعلى الأرجح هذا الباب يقود لدرج ينزل بها . لكن الباب موصد . . .

نظرت من أعلى وقررت أن تصرخ . . سوف يسمعها الناس ، ولسوف يفتحون لها الباب أو تأتى المطافئ . ليس من عادة الفرنسيين أن يتركوا شخصًا حبيسًا فى برجهم ، على الأقل حماية للبرج وليس حياته !

لما نظرت من عل أدركت أنها أخطأت . .

الشىء الذى يشبه البشر يتسلق البرج قادمًا نحوها !!

إنه يقترب . . هرعت نحو الباب وحاولت أن تفتحه . . راحت تهزه بعنف بلا جدوى . . تحول ذعرها إلى هستيريا كاملة . . انفتح أيها الـ . . . .

ثم هرعت للسور فرأت أنه يقترب . .

كانت له ملامح آدمية بالتأكيد ، لكنها مخيفة بالقدر الذى يمكن أن تتحول فيه ملامح المرء إلى ملامح غول . . له أنياب حادة ومن الواضح أن الدم الذى يسيل على شفته جاء منه هو !. . . يدمى شفته مثل تنين كومودو . . .

فجأة رأت ذلك الحبل الغليظ الذى يتدلى لأسفل . . يتدلى حتى الميدان . .

يمكنها أن تهبط عليه ، برغم أنها تخاف المرتفعات وتعرف أن قبضتها ليست قوية . لكن الفزع القادم كان كافيًا ولأسباب كهذه ألقى أناس بأنفسهم من برج التجارة العالمى وفضلوا التحطم إلى ألف قطعة بدلاً من انتظار الموت حرقًا . . .

تمسكت بالحبل وسمعت نفسها تتلو الشهادتين . . لابد أنها قالت هذا بصوت مسموع أثناء النوم . . .

تنزلق لأسفل ببطء حريصة على أن تنزلق فى الناحية الأخرى . . الناحية البعيدة عن تلك التى يتسلق عليها ، وكان يفعل هذا بكفاءة كأن لديه ممصات فى كفيه . . . الرجل العنكبوت لو أصابه السعار . .

تنزلق . . . تنزلق . .

ثم أدركت أن الدوار يقتلها . . لا تفقدى الوعى الآن يا بلهاء . . إن فقدت الوعى فلن تستيقظى للأبد ، ولا تنسى أنك إن مت فى فانتازيا مت فى عالم الواقع . . .

نفس منطق الموت أثناء الحلم. للقلب قدرة محدودة على التحمل . .

الحبل خشن . . الاحتكاك يحرق كفها فعلاً . . .

إنها . . قبضتها تتخلى عن الـ . . . . .

تبًا ! . . تماسكى . . ! . . . .

لاا !

الهاوية والأرض تقترب بلا توقف . . .

★ ★ ★

لوحة الصرخة لمونش . لابد أنها تصرخ خارج غرفة النوم . .

صحت من نومها مذعورة وهى تشهق . .

هناك نوبات تصيب الأطفال اسمها (نوبات الذعر الليلى)، لكنها لا تكون مسبوقة بكابوس . . يصحو الطفل صارخًا وقد ازرق لونه من الهلع . . . يعجز عن الكلام للحظات . . .

هى الآن تمر بشىء كهذا .

لم تكن ممن يحلمون بالكوابيس . . لا تنس أنها لم تكن تنام أصلاً . . .

جلست فى الفراش وتماسكت بصعوبة . الكلب هناك يتواثب على الأرض مذعورًا . . حالته غير طبيعية فعلًا ولعله شعر بذلك التواصل الغامض بين الكلب وصاحبه . . . شعر بها . .

نهضت إلى الأرض واحتضنته فى الظلام شاعرة بقلبه الصغير ينتفض . .

ثم أنها نهضت إلى النور الكهربى فأضاءته . . من الواضح أنها ستنام فى النور كالأطفال. الكوابيس عالم شنيع، وبرغم أنها تعيش حياتها مع عالم النوم والأحلام فإنها لم تطق أن تمر بكابوس هى نفسها . .

قررت فى النهاية ألا تواصل النوم . .

ستجلس فى الفراش باقى الليل وتقرأ . . .

عند الفجر دق جرس الهاتف . . جاء صوت ذلك الضابط الذى تولى المهام بعد مراد بك . . كان يتكلم بصوت حزين ثابت كما يتحدث المذيعون فى جنائز الأشخاص المهمين . . أدركت على الفور سبب الاتصال. قال لها بصوت مبحوح:

ـ « رأفت التويجرى . . . »

كادت تقول (اشمعنى) ثم وجدت أن هذا مزاح سخيف فعلاً . انتظرت باقى الخبر الذى تعرف محتواه على كل حال . قال لها :

ـ « لقد مات . . مات أثناء النوم كالعادة . . »

كانت قد أدركت أن التويجرى هذا شخص مهم جدًا بالتأكيد . . لابد أنه أهم الشخصيات الاقتصادية أو ملحق عسكرى أو رجل مخابرات . . . المهم أنه مهم وقد مات . .

ـ « وجده ابنه ميتًا ساعة القيلولة بنفس علامات الذعر المعتادة » .

قالت فى عصبية :

ـ « لقد صار هذا لا يطاق .. لابد من مسئول حى أو اثنين .. مستحيل أن ينتهى كل المهمين بهذا الشكل »

نحن نتكلم عن :

السيد الشناوى

منصور بيومى

مراد وصفى

أحمد جاد

جورج باسيلى

عصام السمدونى

مراد بك (لا تعرف باقى اسمه)

رأفت التويجرى

ثمانية أشخاص مهمين ماتوا فى أسبوع بنفس الطريقة .. لابد من تفسير واضح لهذا كله. لقد تجاوز الأمر قوانين الصدفة. قالت له :

ـ « لابد من تشريح الجثث التى لدينا بعناية .. يجب أن يقوم خبير سموم بالبحث عن أثر لأى سم مما يسبب الهلاوس .. »

صمت وبدا واضحًا أنه يكتب ما تقول، فعادت تقول:

ـ « لابد من معرفة تحركات هؤلاء .. لابد من البحث عن عامل مشترك يجمع هؤلاء غير أنهم مهمون ... ربما كان شعرهـم أحمـر أو عيونهـم

زرقاء أو هم أعضاء فى محفل ماسونى ، أو ربما ولدوا فى برج الجدى جميعًا »

ـ « ليسوا هذا كله »

ـ « أرجو أن تتأكد .. لابد من سبب لقتل ثمانية أشخاص مهمين »

ـ « التخريب .. هذا سبب كاف »

ـ « إذن كيف فعلها الفاعل ؟ أنا شخصيًا أتمنى قتل مئة شخص لكن لا سبيل لى لقتلهم أثناء النوم ... »

ثم أنها وضعت السماعة وتثاءبت ..

ربما تظفر بساعة أخيرة قبل موعد الكلية ..

★ ★ ★

قبل موعد الذهاب للكلية عرجت على المركز ..

لم يكن هناك أحد سوى دكتور مصطفى .. يلتهم بعض شطائر الفول والطعمية ويشرب الشاى، وأمامه جلس سيد خليفة متوترًا . أشار د. مصطفى للطعام وقال :

ـ « بسم الله »

لم تكن بحاجة لدعوة. كانت جائعة فعلاً لذا مدت يدها لشطيرة فول وراحت تقضم منها فى نهم ، ثم سألت سيد خليفة :

ـ « هل جئت بالنتائج الليلية كلها ؟ »

ـ « كلها »

كان مرهقًا متورم العينين كالعادة وبدا أكثر بدانة مما كان . .

سألت دكتور مصطفى عما وجده فى الأبحاث ، فقال بلهجة تقريرية:

ـ « ماذا تتوقعين ؟ . . طبعًا Sleep apnoea »

نظر لها سيد فى ذعر كأنها قالت إنه مصاب بسرطان المثانة ، وتساءلت عيناه عن معنى ما تقول فترجمت له بسرعة ليهدأ :

ـ « (توقف التنفس أثناء النوم) . . كما توقعت . هناك فترات طويلة ينقطع فيها تنفسك تمامًا أثناء النوم ، لكنك لا تذكر هذا فى الصباح . . إلا أن جسدك يعانى بعنف »

ازداد الذعر فى عينيه فقالت مطمئنة :

ـ « لقد وجدنا السبب . . لم يبق سوى أن نعالجه . سوف تفقد وزنًا وتكف عن التدخين . . لو لم تتحسن الأمور سوف نلجأ لعلاج الأكسجين الإيجابى المتقطع . . ربما نفكر فى الجراحة »

ثم أضافت باسمة :

ـ « سوف يصحب هذا تحسن أكيد في ضغط دمك وعلاقاتك الزوجية »

ثم نظرت لساعتها . . لقد تأخرت على الكلية ، لكن هذا لا يمنعها من التهام شطيرة طعمية كذلك . . إن كومة الشطائر أمام د. مصطفى عالية وتسمح بهذا الطموح . .

★ ★ ★

عند منتصف النهار جاء د. وليد الشيخ . .

نحيل وديع مسالم . . فيه خفر يذكرها بالعذارى . له ملامح وجه رقيقة ، وهى لا تطلق لفظة رجل إلا على من يبدو خشنًا قوى الملامح وله شارب كث . . أى أن جنس الرجال عندها يبدأ برشدى أباظة كبداية ، ثم يتحرك لأعلى وترتفع معدلات الخشونة . . .

أما أن يأتيها ذلك الفتى الذى يفوقها رقة ونعومة ، فهى تشعر بأنه كائن مزعج . . لم تكن تهتم بالرجال كما قلنا ، لكن لو اختارت رجلاً فعليه أن يختلف عنها فى كل شىء . .

برغم هذا كان إنسانًا مهذبًا . .

يحمل مجموعة من الأوراق ويرتجف قلقًا . . لقد جاء من المنوفية خصيصًا ليعرف رأيها . إنه ريفى لا يشعر براحة كبيرة فى القاهرة ، ولكنه يحمل من الريف أفضل ما فيه . . .

تعرف أن هذه الأوراق هى رسالة الماجستير التى يعدها ، وهى تشرف عليها . . لن ندخل فى التفاصيل لكنها نوع من دراسة مادة كيماوية معينة فى مخ الفئران أثناء النوم . . شىء من هذا القبيل . .

سمحت له بالجلوس ثم راحت تقلب صفحات الرسالة . . .

كانت قد أجرت الكثير من التعديلات ، وقد أرادت أن تعرف إن كان نفذها أم لا . . لكن افتقارها للنوم جعل الصفحات زائغة تمامًا . . كانت قادرة على التركيز بصعوبة . هذا نوع من الـ Aphasia أو الحبسة البصرية حينما ترى الحروف جيدًا لكنك عاجز عن فهم ما تعنيه . .

جرعت الكثيـر من القهـوة وأشعـلت لفافة تبـغ محاولة التركيز فلم تقدر . .

أخيرًا شعرت باليأس فقالت له :

ـ « اترك لى الأوراق . . سوف أطالعها وأخبرك برأيى »

سألها فى حيرة وقلق :

ـ « هل أنت بخير يا دكتورة ؟ »

ـ « ربما لم أنم جيدًا . . هذا كل شىء . . »

ظل ينظر لها فى عينيها بعض الوقت وابتسم . . ثم إنه ابتعد شاكرًا . .

فعلاً لا جدوى من التركيز . . أطفأت لفافة التبغ فى قدح القهوة ، وقررت أن تعود للبيت لتظفر ببعض النوم . . لا يمكنها أن تمارس العمل ليلاً ما لم تنم قليلاً .

بعد الغداء نامت بعمق . . لم تدرك متى غابت عن الوعى . . كانت تقرأ ثم سقط الكتاب من يدها . .

وسرعان ما وجدت نفسها فوق برج النوتردام تنظر من أعلى لذلك المسخ الذى يتسلق الجدار . .

أطلقت صرخة هلع . .

نظرت لجانب السور فرأت ذلك الحبل الذى كان هناك . .

لكنها كانت تعرف أنها لن تستطيع التمسك . . سوف تنزلق يداها . . . لن تكرر غلطة أمس . .

المسخ قادم . . لابد من حل سريع . .

فجأة رأت ذلك المسدس . .

من أين جاء ؟ من وضعه على السور ؟

حملته شاعرة بثقله . . وببرودة المعدن . من المذهل أننا نشعر بالأشياء أثناء الحلـم كأنهـا فى عالـم الواقـع . وكانت تعـرف أنها ستستعمله ببراعة . . . هى لم تطلق الرصاص قط إلا فى فانتازيا ، لكنها عندما تطلق الرصاص تتصرف كأنها خاضت الحرب مئات المرات . .

التقطت المسدس وصوبته نحو ذلك الشىء الصاعد . .

بوم ! . . بوم ! . . . بوم ! . . . . كليك !

نفد الرصاص لكن الشىء المنحوس قادم . . هل الرصاص لا يؤثر فيه أم ماذا ؟

فجأة انفتحت الأرض من تحتها وأدركت أنها تقف على قمة درج حجرى متلو يهبط لأسفل. ما العجب ؟ هذا هو النوتردام . . بناية قوطية عتيقة مخيفة ، ولابد أن فيها ألف ممر سرى . .

لا يوجد وقت للاختيار . . فلتهبط . . .

بسرعة . .

بسرعة . .

العادة السيئة للأحلام وهى أن قدميك لا تطيعانك . . أنت بطوء وغبى جدًا . .

لكنها فى النهاية تجد قبوًا . . .

هناك ممر طويل وعلى الجدار شمعدانات على اليمين واليسار . . هناك صور بيزنطية على الجانبين، وبعض لوحات كلاسية . . معظم هذه اللوحات تمثل قديسين مسيحيين شهداء . هذا متوقع فى النوتردام على كل حال . .

الممر طويل ونصفه البعيد يتوارى فى الظلال . . .

قلبها يتواثب ولا تكف عن النظر للخلف .

لو رأى ذلك الشىء الفتحة لنزل وراءها . ولسوف تكون فرصتها معدومة هنا ، فهى ستجرى بلا أى فرصة للكر والفر . . وهو بالتأكيد أسرع منها . .

« أحلام المطاردة شهيرة جدًا . . لقد كتب عنها يونج كثيرًا . . . غالبًا لا ترى وجه مطاردك . . هذا يوحى على الأرجح بأنه شىء تخشى مواجهته فى ذاتك أنت »

هكذا قالت . . وكانت حكيمة جدًا . . .

لماذا لا تجد هذه الحكمة والشجاعة الآن ؟

نظرت جوار إحدى اللوحات فرأت . . أقصد أنها سمعت أولاً . . كان هناك طفل رضيع يصرخ . . طفل وضعه أحدهم جوار الجدار عاريًا هشًا . .

انحنت وضمته إلى صدرها . . . لا وقت للفرار ولا النجاة ، لكن ربما كان بوسعها أن تنقذ هذا الرضيع . .

★ ★ ★

٧ ـ نزوة مراهقــة . .

الطفل الرضيع لم يكن طفلاً رضيعًا . .

لما ضمته لصدرها رأت ملامحه تتقلص وتتجعد . . كان يشيخ بسرعة جنونية . .

إنه شيخ مسن تضمه لصدرها . . وبرغم هذا هو صغير الحجم فعلاً كأنه طفل رضيع . هل هذا سحر ؟ وتذكرت مقولة كامبل عن أن النساء العجائز فى عالم الأسطورة متحولات دائمًا . . .

هنـا طفل تبـدو عليه البـراءة والهشاشـة . . لكنـه تحـول لشيخ مجعد مقزز . . .

سمعت صوت الخطوات ورأت ذلك الشىء قد دخل البهو . .

مدت يدهـا إلى مشعـل معلـق إلى الجـدار جـوار صورة حرق جان دارك . . . طوحت بالمشعل فـى وجـه الشىء القـادم فصـرخ . . صرخ صراخًا مريعًا . . .

فجأة وجدت أن ذلك الشيخ ليس بين ذراعيها . .

★ ★ ★

في مركز العلاج النفسى . .

لم يكن هناك مرضى لها كالعادة . . هذا المكان يناسبها جدًا لأنها تنجز أعظم المشروعات طموحا . . يمكنها أن تؤلف الإلياذة وتتبعها بالأوديسة والإلياذة مع كل هذا الهدوء والفراغ . .

هكذا أشعلت لفافة تبغ وسعلت ورشفت رشفة من القهوة، ثم راحت تتصفح كتب تفسير الأحلام التى لديها ..

فى حلمها تماثيل .. والتماثيل عند ابن سيرين هى أصنام .. معنى هذا أن صاحب الحلم يتقرب إلى رجل يبغضه الله تعالى، وتدل الرؤيا على ذهاب ماله ووهن إيمانه ..

رأت طفلاً .. والطفل عدو ضعيف لك ، يظهر صداقته ثم يظهر عداوته فيما بعد . رأت أنها حملت الطفل، وابن سيرين يقول إن من يحمل طفلاً يدير ملكًا . حكى له أحد الناس عن حلم يطارده يضع فيه طفلاً فى حجره والطفل يبكى بلا توقف ، فقال له: اتق الله ولا تعزف العود . أما تحول لطفل لشيخ فى الحلم فمعناه أن المرء يكتسب علمًا وأدبًا . . .

ما معنى هذا ؟

مئات المعانى وكلها لا تتسق لتصنع معنى متكاملاً . . .

سوف تكسب علمًا وأدبًا، وفى الوقت نفسه لها عدو مراوغ يظهر صداقته . وهى تتقرب من رجـل يغضب الله .. وفـى الوقـت نفسه تدير ملكًا . . .

ترى ماذا يقول تفسير الغربيين ؟

بالنسبة لفرويد الأمر سهل .. فالكنيسة عنده رمز للأنثى ، والطفل والمسدس والشمعة رموز للذكر ..

المفسرون الأكثر تعقلاً يقولون إن الكنيسة تدل على اهتمام المرء بالعالم الآخر .. الأطفال يدلون على حاجتنا للتحرر من قيود حياة الكبار . .

الشموع تدل على أن لديك مواهب خفية . . . إطلاق المسدس يدل على أنك لا تطيق شخصًا ما . . . لا تريده فى حياتك. ثم يفرغ المسدس كناية عن العجز . . .

هى منهكة من حياة الكبار وتشعر بأنها تملك مواهب لم تظهر بعد. . هى تكره شخصًا ما وتتمنى لو قتلته لكنها عاجزة . . . هى مهتمة جدًا بالحياة بعد الموت . .

تنهدت فى صبر . .

أى الرأيين تصدق وكيف تصنع من هذا خليطًا واحدًا . . ؟ ؟

كلما قرأت تفسيرات الأحلام شعرت بالتخبط ، وبأننا نتكلم عن شىء لا نعرف أى شىء عنه. فعلاً هى مؤمنة أننا ما دمنا بعيدين عن رؤى الصالحين والأنبياء فإن أحلامنا متخبطة لا تزيد على بخار العادم المتصاعد من عمليات الاحتراق اليومية . .

نحت جانبًا كتابى الأحـلام .. ومـدت يدهـا لرسـالة ماجستيـر ذلك الطالب .. وليد الشيخ .

راحت تقلب الصفحات التى تم تغليفها بكعب بلاستيكى .. وراحت تلاحظ التعديلات التى طلبتها بخط يدها . .

وصلت لمنتصف الرسالة فوجدت ورقة مطوية بعناية .. فتحتها فى حذر فوجدت المكتوب :

« ليست نزوة مراهقة .. لو صرت لى لجعلتك ماكة »

وجوار الكلام كانت صورة لا بأس بها بالقلم الرصاص لوجهها .. إذن لهذا الرسالة معطرة. هل هذا الكلام موجه لها ؟ .. بالطبع لا .. إنها تكبر الفتى بخمسة عشر عامًا .. وهى منفرة عصبية يخافها الرجال.

لكن ما معنى الرسم ؟ وما احتمال الصدفة هنا ؟

استشاطت غضبًا ..

الوغد المائع .. الوغد المنحل يصارحها بحبه ..

كان يمكن أن تتساهل لو كانت جديرة بالحب، لكن هذا مستحيل .. لا يمكن أن يحبها أحد .. ومعناه أنه يحاول أن يخدعها لتتساهل معه فى الرسالة ..

أشعلت لفافة تبغ أخرى وراحت تفكر .. هل توبخه أو تطرده ؟ وماذا لو كان يخاطب واحدة أخرى ؟ سوف يظهرها بمظهر المجنونة التى ذهب الحرمان من الحب بعقلها ..

يمكنه أن يكون خبيثًا كما يشاء .. يمكنه أن يزعم أن الكلام غير موجه لها ..

لكنها تعرف جيدًا أنه يخاطبها ..

يمكنها فهم هذا التعلق .. آثار فرويدية من طفولته لمعلمة أو مربية تشبهها .. ثم نزعة ماسوشية تجعله يتمنى أن تقهره امرأة قوية الشخصية . هو ضعيف واهن أقرب للأنوثة، والرجال من هذا الطراز يتعلقون بالنساء القويات ..

هى لا ترغب فى أن تلعب دور الحبيبة ولا المعالجة النفسية ..

أسلوب المراهقة هذا يستفزها فعلاً ..

لكنها قررت فى النهاية أن أفضل سياسة ممكنة هى التجاهل. لم تر شيئًا ولم تعرف شيئًا .. سوف يعتقد أنها لا تقرأ الرسائل العلمية وأنها مهملة . لا بأس .. هذا يتحاشى المواجهة ، لكنها على كل حال ستجعل حياته صعبة .. سوف يتعذب جدًا وهو يحاول عمل كل الإصلاحات التى طلبتها ..

يحبنى ؟ وليد الشيخ يحبنى ؟ وأنا أكبر منه بخمسة عشر عامًا ؟

لو قبلت بحبه فلسوف تصير أضحوكة الكلية ، ولسوف ينطبق عليه المثل الشعبى (من همه .. أخد واحدة قد أمه) ..

★ ★ ★

جاءها فى الكلية بعد يوم ..

رأت عينيه القلقتين والإرهاق على ملامحه ، كما أنه كان يضع يده على خده بشكل متواصل لسبب لا تدريه. فأدركت أنه بالفعل كان يقصدها عندما كتب هذه الرسالة . دعته إلى الجلوس ، ثم رشفت رشفة من قدح القهوة ..

ناولته الرسالة وقالت فى برود :

ـ « هناك أخطاء كثيرة جدًا .. أنت لا تتعلم .. أرجو أن تقوم بالتصحيح »

نظر لها متسائلاً ...

معنى هذا أنها لم تر ورقته ..

أو ربما رأتها وهذا هو الرد ؟

تناول الرسالة ونهض . . فقالت له وهى تشعل لفافة تبغ :

ـ « من أين أنت يا وليد ؟ »

ـ « من المنوفية »

قالت ضاحكة :

ـ « أعرف هذا . . المنوفية ليست مدينة واحدة . . من الممكن أن تكون من تلا . . من شبين الكوم . . إلخ »

قال فى حياء :

ـ « قريتى اسمها دناصور . . مركز الشهدا »

ـ « وهل تأتى من هناك يوميًا ؟ »

ـ « لدى شقة صغيرة هنا فى القاهرة . . أحيانًا أبيت هناك »

ـ « متزوج ؟ »

نظر لها فى أمل واعترف أنه عزب . . هى كانت تعرف ذلك طبعًا لكنها تمتحن ملامح وجهه . لم يعد هناك شك فى أنه كتب الوريقة بكامل إرادته الحرة . لكنه ارتكب خطأ جسيمًا . .

عندما عادت لدارها كان الكلب يتواثب حولها فرحًا بقدومها . وضعت له بعض طعام الكلاب المجفف فى طبق ووقفت تراقبه .

تقول داليدا :

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

قد يحيا المرء مع كلب . .

قد يحيا المرء مع زهرة . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

اخترع الإنسان السينما والذكريات . .

اخترع ظلًا . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

ينتظر المرء الربيع . . وعندما يموت الربيع ينتظر الربيع التالى . .

أحبك وأنتظرك لأخدع نفسى بأننى لا أعيش وحدى . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

نبنى الكاتدرائيات

التى يصلى فيها أولئك الذين يشعرون بالوحدة . .

لكننا لا نصنع تابوتًا يتسع لاثنين أبدًا . .

أعيش وحيدة معك

وأنت تعيش وحيدًا معى . .

لكننا نتظاهر بأننا لا نعيش وحيدين .

اسمه وليد الشيخ وهو وقح كذلك . .

وليد الشيخ . . . لا شك فى أن فيه عذوبة ما . سذاجته جذابة . . .

تناولت قرصًا من المنوم وقررت أن تنام . . .

لماذا يتواثب الكلب بهذا الشكل ؟ لماذا ينتصب شعره ويزوم بهذه الطريقة ؟ تخاف جدًا من الحيوانات الخائفة . . كأنها ترى شيئًا لا تراه . .

★ ★ ★

٨ ـ معاكسات . .

من جديد هى فى ذلك الرواق الذى تتناثر فيه صور الشهداء . .

لقد اختفى ذلك الرضيع الذى تحول إلى شيخ من بين يديها . .

أحرقت باللهب وجه الذى هاجمها . . ذلك المسخ الغامض . . ثم انطلقت تركض فى الرواق الذى يتوارى نصفه فى الظلام . . هل من نهاية ؟

المسخ الذى هاجمها قد أحرق وجهه ، وهذا يعنى أنه مسعور وغاضب إلى أقصى حد . لو لحق بها فلسوف . . .

تجرى وتشعر بأن أعوام التدخين قد أهلكت رئتيها . . نصيحة عندما يطاردك وحش فى ردهة طويلة : لا تكن مدخنًا أبدًا .

هناك ضوء فى نهاية الرواق أو البهو . .

إن النجاة قريبة جدًا . . .

أخيرًا استطاعت أن ترى ضوء الشمس . . أخيرًا شمت رائحة الهواء النقى . .

لا توجد جغرافية فى هذا الحلم . كانت فى قمة النوتردام وهبطت بضع درجات وركضت عبر رواق ، فإذا بها فى مستنقع تتصاعد فوقه أبخرة غاز الميثان . . وترى شعلة المستنقعات الغامضة التى أثارت رعب الناس منذ فجر التاريخ . .

تعرف هذا النوع من الكوابيس . . سوف تحاول عبور المستنقع فتخرج أيد متحللة من تحت الوحل تمسك بكاحليها . هذا حتمى . . لو لم يحدث لكانوا معدومى الخيال . .

هناك أمور حتمية . . أى قتال يتم فى مخزن فيه قش لا بد أن يهاجم أحدهم الآخر بالشوكة الثلاثية التى يكومون بها القش وينتهى المشهد بحريق . أى مطاردة فى سوق شرقى ينتهى بالاصطدام بعربة فاكهة . . . أى شخص يمشى فى المستنقعات أو المقابر لا بد أن تخرج أيد تمسك بكاحليه . .

لكن هذا لم يحدث هنا .

رأت فجأة أن شيئًا عملاقًا مخيفًا يرفع رأسه فى الأفق . .

دققت البصر . . هذا ليس شيئًا . . هذا ديناصور عملاق من طراز (برونتوسوروس) وهو آكل نباتات على كل حـال ، لكنها لا تتوقع أن تكون الدقة الباليو إكولوجية كبيرة فى هذا الحلم . . غالبًا سوف يكون الـ (برونتوسوروس) آكل لحوم هنا .

رأته يدنو منها . . ثم كما فى الحلم اختزل جزء كبير من المسافة . . لقد صار وجهه على بعد متر من وجهها . . وفتح فاه وزأر . . .

رائحة كريهة والكثير من البخر . . وشعرها طار إلى الخلف . . .

سقطت فى الأوحال . . ورفعت رأسها . .

رأته يفتح فمه الملىء بالأنياب الحادة ويقترب منها . . لن تمثل له أكثر من قضمة . .

ـ « الـ (برونتوسوروس) لا يأكل اللحـوم يا أحمـق !. . . الـ (برونتوسوروس) لا يأكل اللحوم يا أحمق !. . . »

صرخت طويلاً . . صرخت . . .

★ ★ ★

صرخت ..

هى الآن على أرض غرفة النوم بينما الكلب يعوى ويحاول أن يجرها من منامتها ..

لقد كان كابـوسًا .. الحمد لله أنه كابوس .. الكوابيس لعبة قاسية فعلاً .. لا ترحم ولا تتسامح .

ترتجف رعبًا .. هى ليست من النوع الذى يخاف من هذه الوحوش .. هذا جو طفولى جدًا .. أسوأ الكوابيس عندها هى المتعلقة بخطر مبهم ، أما أن يأكلك ديناصور فهذا سخف ... مثلما يبكى البعض خوفًا عند رؤية أفلام جودزيلا ، بينما الرعب الحقيقى هو فى فيلم الحاسة السادسة مثلاً .

برغم هذا كان كل شىء حقيقيًا ومخيفًا .. للحظات عاشت نفس مشاعر من يلتهمه ديناصور .. الحقيقة التى لا تستطيع استيعابها هى أنها فعلاً صارت مستهدفة .. صارت من هؤلاء الذين تطاردهم كوابيس مخيفة ، وبالتأكيد هى لم تتعرض لعقار ما أو غاز ما .. لو كان قلبها أضعف لهلكت أثناء النوم ..

الهاتف يدق بلا توقف ..

كم الساعة ؟ الرابعة بعد منتصف الليل ..

هنـاك مصيبة .. على الأرجح سيكون مسئول مهـم آخـر قد مات فى نومه . وسوف تشعر بالأسف والندم ، لكن ماذا تفعل ؟ نفس الكابوس صار يطاردها ولم تعد تقدر على الفرار ..

رفعت سماعة الهاتف وقالت :

ـ « آلو .. »

ساد الصمت .. الحمد لله !.. هذا شخص حقير يعاكسها بالهاتف ..

أين هؤلاء ؟ ... أين من يعاكسون ؟ .. هى لا تتلقى إلا أخبارًا لعينة كريهة ، وقد صارت بحاجة إلى سخافات حمار وقح ... على الأقل لن يخبرها بموت أحد ..

جاء الصوت المتحشرج الغريب :

ـ « هل .. أنت .. بخير ؟ »

ماذا ؟ .. عم يتكلم ؟

قالت فى غلظة :

ـ « اسمع أيها الشاب .. لقد كان يومى مرهقًا لهذا سأكون سعيدة لو أنك ذهبت للجحيم »

عاد يسألها بصوت متحشرج ولهفة صناعية :

ـ « هل أنت بخير ؟ »

قالت فى برود :

ـ « بخير ولله الحمد .. »

ـ « كنت قلقًا .. »

كان الهاتف مزودًا بخاصية إظهار رقم الطالب .. تناولت القلم جوار الفراش وكتب الرقم بسرعة ، وكان هاتفًا محمولاً .. سوف تعرف كيف تؤدبه فى الصباح .

وضعت السماعة وتنهدت . . على الأقل ليس هذا خبر ميت آخر . عليها أن تحاول الظفر ببعض النوم قبل الصباح . . لا جدوى من تعاطى عقارات مهدئة أو منومة لمنع الكوابيس . كل التجارب المماثلة أدت لزيادة الكوابيس بدورها . .

لا حل سوى النوم من جديد .

رقـدت على الفـراش وأبقت النور مضاء . . سوف تنام برغم كل شىء . . إنها منهكة كما أن الكابوس الذى يزورها لا يبدو من الطراز الذى يكمل نفسه فى الليلة ذاتها . .راحت الأغنية تتردد فى ذهنها بإلحاح ممل وبلا توقف . . كما يحدث فى السينما . . نوع من الوسواس القهرى الذى لا يتوقف لحظة . . هل هى رسالة ما ؟ لا تعرف . . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

قد يحيا المرء مع كلب . .

قد يحيا المرء مع زهرة . .

من الذى اتصل بها ؟

كل شىء يؤكد أنه وقح يعاكسها . . . شعر بنزوة مراهقة عند الفجر فأمسك بالهاتف على سبيل التسلية . لكن وهى تدخل عالم النوم تذكرت كلماته :

« هل أنت بخير ؟ »

« هل أنت بخير ؟ »

« هل أنت بخير ؟ »

ثم تذكرت كلمات أخرى :

« هل أنت بخير يا دكتورة ؟ »

« هل أنت بخير يا دكتورة ؟ »

« هل أنت بخير يا دكتورة ؟ »

الصوت المتحشرج أولاً ثم الصوت الهادئ الرزين بعدها . . وليد ! . . .

لقد غير صوته كثيرًا . حشرج حنجرته وأبقى شفتيه مغلقتين تقريبًا . هناك حروف لا تتحرك فيها الشفتان أصلاً على غرار بيت الشعر الشهير :

قطعنا على قطع القطا قطعَ ليلة . . سراعًا على الخيل العتاق اللاحق

وهو بيت شعر ينسبونه عادة لسيدنا على بن أبى طالب، وأنا أشك فى هذا . لربمـا وضـع المتصل منديلاً على فمه كذلك، لكنه لم يستطع خداع أحد . هناك روح معينة أو هالة تميز الصوت مهما تم تغييره . .

الذى اتصل بها هو الفتى العاشق . . وليد الشيخ . . لا شك فى هذا . المشكلة هى أنها غير قادرة على إثبات ذلك . ولا تقدر على مواجهته . حتى إذا جربت الاتصال بالرقم الذى أخذته فمن الأحمق الذى يعاكس اليوم مستخدمًا هاتفه الأصلى ؟ بالطبع ابتاع خطًا سوف يستعمله للمعاكسات ثم يتخلص منه . .

أغمضت عينهـا وراحـت تحـاول نـزع لحـن أغنية داليدا اللحوح من ذهنها . .



* * *

بين النباتات العجيبة تركض محاولة الفرار من الديناصور . .

لا تعرف هذه النباتات لكن يبدو أن النبات الوحيد فى ذلك العصر كان السرخس . . هناك نباتات كثيرة طبعًا لكنها لا تعرفها ، وهذا يكفى لجعلها غير موجودة . تسقط فى وحل المستنقع ثم تنهض، بينما من حولها تحوم حشرات (ويتا) عملاقة . .

عنق الديناصور طويل جدًا ويقدر على أن يلتقمها متى أراد . .

هنا رأت أمامها وحشًا آخر . .

الووساوروس . . . عظاية الرعب . . تشبه التى ركس نوعًا لكنها أضخم وأسرع وأكثر شراسة . . . تشعر عبير كأنها فى ساحة الحرب بين دبابات . .

هيا . . التهمنى أرجوك .

تعرف أن هذا كابوس . . كل هذا خلقه عقلها لكن الرعب حقيقى بلا شك . . إلى متى يتحمل قلبها هذا كله ؟

على كل حال هناك مزية للتواجد مع ديناصورات شرسة . . إنها تهاجم بعضها وتفضل الديناصورات مثلها كفرائس . . لهذا التحم الديناصوران فى صراع شرس فحلقت طيور تيروداكتيل بعيدًا ، وتناثر الوحل فى كل مكان وارتجت الأرض . . . .

الزئير يهز الغابة هزًا . .

كانت تركض وهى تحاول فهم ما يحدث . كانت فى النوتردام وهربت عبر ممر طويل وفجأة صارت فى العصر الطبشورى . . هذا كابوس ، والهذيان وارد لكن حتى الكوابيس لها بعض المنطق . .

راحت تركض وسط المستنقعات لاهثة متعبة . .

توقفت جوار شجرة وراحت تعب الهواء عبًا . . .

سمعت صـوت طرطشة الوحل والماء فنظرت من وراء الشجرة فى حذر . .

كان ذلك المسخ شبه البشرى يركض وسط الأوحال ويداه تتدليان جواره . . شعره منتفش لكنها لا ترى ملامحه بوضوح . . يمكنها أن تقسم أن وجهه مرعب فعلاً . . .

مر بالشجرة التى تتوارى خلفها . . وابتعد فتنهدت الصعداء . .

لكن صوت الطرطشة توقف . . لم تدر السبب . .

نظرت بحذر من وراء الشجرة ففوجئت أنه توقف للحظة مفكرًا وتشمم الهواء كقط ، ثم عاد يركض نحوها . . .

هذه المرة لم تر داعيًا للتخفى فصرخت مولولة . .

★ ★ ★

من جديد يلعق الكلب وجهها . . كانت تمنعه من الصعود للفراش، لكن من الواضح أن الأصوات التى تصدر منها أفزعته . من الغريب أن لسانه الدافئ الصغير لم يتسرب إلى الحلم . .

كفى ! . انزل . . أنا شاكرة لك لكنى أريد لحظة لالتقاط الأنفاس . .

جلست فى الظلام تلهث وترتجف . .

يمكن بكل فخر القول إنها صارت من المبتلين بالكوابيس . حياتها لن تعود كما كانت أبدًا . صار النوم مخيفًا مفزعًا . . هذا سوف يحطم أعصابها ، هى التى كانت تنام بصعوبة أصلاً . . . الآن لو دخلت فى النوم فلسوف يوقظها كابوس . .

نهضت من الفراش وأضاءت النور الكهربائى . . .

سوف تراجع كتب التفسير بحثًا عن إجابة برغم أنها تربكها على الأرجح .

سوف تندهش جدًا لو تكلم ابن سيرين أو فرويد عن البرونتوساوروس فى الحلم . .

حلمها كان يحتوى على وحوش عملاقة . . يقول ابن سيرين أنها ترمز لملك عظيم لا يقدر أحد على مقابلته . لو امتطيت هذا الوحش فأنت ملك . .

بالنسبة للتفسيرات الغربية ، فالخطر فى الحلم والشخص الذى يطاردك يرمزان لمشكلة خطيرة فى حياتك . لو استطعت الفرار فأنت تؤمن بقدرتك على تحدى المشكلة . عندما تحلم بشخص تعرفه يطاردك فأنت على الأرجح لم تعد تثق به . أما إن مات شخص تعرفه فى حلمك فأنت تعتبر نفسك مسئولاً عنه . معنى هذا أنها شعرت بالمسئولية نحو عصام السمدونى .

أحلام المطاردة مهمة جدًا كما قلنا . . لقد أثارت اهتمام يونج جدًا لأنها أحلام شائعة . ليس منا من لم يحلم بها . إنها غريزة مزروعة فينا منذ زمن كانت تطاردنا فيه الدببة والنمور سيفية الأسنان . . .

يجب أولاً أن تعرف ما يخيفك فى الحياة . . الفقر . . زميل عمل . . . مهمة شاقة . الوحش غالبًا هو رئيسك فى العمل ! . ربما كان من يطاردك هو أنت نفسك . . غالبًا يكون المهاجم الذى لا ترى وجهه أو يلبس قناعًا هو أنت نفسك . .

على كل حال من الممكن أن تتناول عشاء دسمًا ، أو ترى فيلمًا مرعبًا . . هذا كاف غالبًا لترى كابوس مطاردة . . فى هذه الحالة لا قيمة للكابوس وليس له معنى مهم . .

أغلقت الكتب ونهضت لتعد لنفسها وجبة إفطار . . بعض رقائق القمح باللبن . . وقهوة . . جالونات من القهوة . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

نبنى الكاتدرائيات

التى يصلى فيها أولئك الذين يشعرون بالوحدة . .

لكننا لا نصنع تابوتًا يتسع لاثنين أبدًا . .

كان فى أحلامها صبى رضيع صار شيخًا . .

كان فى أحلامها ديناصور مرعب . .

كان فى أحلامها رواق امتلأ بصور الشهداء

فجأة ارتجفت وسقطت زجاجة اللبن من يدها فراح الكلب يلعق السائل الدسم فى نهم . هناك معنى واضح لهذا . .

هناك من يدخل أحلامها فعلاً ويحاول قتلها بالرعب. وعقلها الباطن يعرف من هو . عقلها الباطن يتصرف بالطريقة الفرويدية المعروفة فيلعب بالكلمات . . يعطى تلميحات لكنه لا يجسر على إعلان الحقيقة كاملة . .

قبو ملىء بصور الشهـداء . . ألا يذكـرك هذا بمركـز الشهـدا فى المنوفية ؟

هناك ديناصورات تحاول الظفر بها . أليست هناك قرية اسمها دناصور فى مركز الشهدا ؟

وماذا عن الوليد الذى يتحول لشيخ ؟

ألا يعنى هذا (وليد الشيخ) ؟

★ ★ ★

٩ـ أنت هو ؟ . .

كانت تعرف أن هذا تضييع وقت، لكنها على كل حال أمسكت بالهاتف الجوال وطلبت الرقم . . سوف يدق قليلًا ثم يتوقف غالبًا . .

فجأة جاء الصوت المألوف:

ـ « آلو ؟ »

صمتت بعض الوقت، ثم قالت :

ـ « وليد ؟ »

قال بصوت راجف :

ـ « إنجى ! »

لم يضف أى لقب . . كأنه صديقها منذ زمن، ولم تستطع أن تعترض برغم أنها فى ظروف أخرى كانت ستلقى عليه درسًا . . الأغرب أنه استعمل هاتفه المحمول فعلًا . الاحتمال الأول أنه غبى جدًّا، والاحتمال الثانى هو أنه أراد أن تعرف . . إذن لماذا غير نبرة صوته عندما اتصل فجرًا ؟ . . .

قالت بصوت خفيض:

ـ « اسمع . . هل أنت من يأتى لحلمى أم أنا من يأتى لحلمك ؟ . . لماذا تطاردنى ؟ . . »

قال بعد لحظات :

ـ « إنجى . . لابد من اللقاء » .



فكرت قليلًا ثم لم تجد مناصًا من القبول :

ـ « تعال لمكتبى فى الكلية اليوم » .

ـ « بل أقترح اللقاء فى مكان آخر . . » .

وذكر لها اسم كافتيريا قريبة من الكلية . . .

ماذا يحدث هنا ؟ كان بوسعها أن تهينه وتشتمه وتقول فى عصبية: كيف تسمح لنفسك ؟ لكن الوضع كان فريدًا ولم تدر ما تقول. هكذا وافقت .

★ ★ ★

الأستاذة الجامعية الخشنة المفتقرة للأنوثة ذاهبة لموعد غرامى مع طالب أصغر منها بخمسة عشر عامًا !. . وهو رقيق هش كالفتيات . .

كل شيء غريب . . على الأرجح هو كابوس آخر .

دخلت إلى الكافتيريا وتفحصت الوجوه . مَن مِن هؤلاء طالب عندها ؟ . . من منهم يعرفها ؟ لكنها قدرت أن هذه ليست وجوه طلاب . هم أقرب إلى مجموعة من الأوغاد أو الأنذال أو قراصنـة الكاريبى . هذا يريحها بالتأكيد . . هذه آخر لحظة تتمنى أن تلقى فيها تلاميذها المخلصين.

كان الفتى جالسًا إلى منضدة جوار الجدار ينظر إلى شمعة تتوهج فى كـوب . يبـدو شاردًا مهمومًا وليس بالطـراز الذى ينـوى بدء مغامرة عاطفية . . هناك مشكلة فعلًا .

جلست فحياها بهزة من رأسه دون أن ينهض . . وقال :

ـ « أعتقد أنك فهمت معنى مغامرتك فى قبو صور الشهداء . والطفل

الوليد الذى صار شيخًا . . والديناصورات . . كان عقلك الباطن يلمح لك بالحل . . . »

قالت فى دهشة :

ـ « أنت رأيت كل شيء فعلاً ؟ »

ـ « قلت لى : إننى كنت هناك ، وكان معك حق ! »

ظلت صامتة تفكر ثم رفعت حاجبيها طالبة أن يكمل . .

قال لها :

ـ « عندما أنام أكتشف أننى أدخل إلى أحلام الآخرين . . وغالبًا هم يروننى فى أحلامهم كذلك . . فى أحلامى لا أكون أنا . . أتحول إلى وحش مسعور متعطش للدم . . أقتل لمجرد التسلية . . ! »

ـ « ما زلت لا أفهم » .

ـ « دخلت إلى كوابيس الكثيرين . . قتلتهم فى الحلم مرارًا . . هناك من التهمت قلبه وهناك من قذفته من فوق جبل . . هناك من انتزعت أحشاءه بيدى وهناك من قطعت رقبته » .

ـ « وهل كان الشخص يموت ؟ »

ـ « فى الكابوس كان يموت بالتأكيد . . لكنى كنت أشعر بقوى غامضة تطردنى خارج الحلم بعدها . . أعتقد أن الشخص كان يموت فعلًا فى عالم الواقع. لا أدرى » .

فكرت قليلاً وتذكرت أن وفاة هؤلاء الأشخاص المهمين لم تعلن بشكل

إعلامى واضح . . ثم إن القصة لم تستغرق وقتًا كبيرًا . . من الوارد ألا يعرف . .

ـ « وأنت دخلت كوابيسى لذات الغرض ؟ »

فكر بعض الوقت ثم قال:

ـ « فى البداية كان هذا هو الغرض، لكن ميلى الطبيعى نحوك جعلنى أقاوم . . حاولت مرارًا أن أنذرك أو أتجنب قتلك . . كدت تموتين على برج النوتردام . . أطلقت الرصاص على عدة مرات . . وألقيت بمشعل فى وجهى » .

ثم التفت بوجهه لليسار فلاحظت ذلك اللون الأحمر على خده . لم تلحظه من قبل . لهذا كان يضع يده على خده عندما التقيا بعد الكابوس . قالت له فى دهشة :

ـ « لاتقل إن المشعل فى الحلم حرق وجهك ! »

قال بصوت خفيض :

ـ « فعل ذلك . . لكن بشكل رمزى . . لقد شعرت بالنار تؤلمنى ، وعندما صحوت كان الهستامين والبرادى كاينين قد تكفلا بجعل الأوعية تتسع فى ذلك الموضع . . هكذا صار خدى أحمر كأنه احترق . . لو كان احترق فعلا لرأيت قطعة من الفحم » .

ـ « هل كان هذا آخر شىء ؟ »

كانت تمتحنه . . قال لها على الفور :

ـ « صراع الديناصورات فى المستنقع . . وجدت نفسى أبحث عنك كأننى ذئب جائع . . ووجدتك فعلًا فأطلقت أنت صرخة جعلتنى أصحو من نومى مذعورًا . . لا أعتقد أننى قادر على قتلك أثناء النوم » .

قالت فى عصبية :

ـ « لأنك تحبنى »

ـ « هذه هى الحقيقة . . » .

ـ « تهيم بأستاذتك الجامعية التى تكبرك بخمسة عشر عامًا » .

ـ « للناس فيما يعشقون مذاهب . . والأغنية التونسية تقول : خذوا عينى شوفوا بيها » .

ـ « ألا تجد هذا سخيفًا مبتذلاً ؟ »

ـ « ربما . . لكنه كذلك قوى جدًا . . »

ـ « وماذا عن المصلحة ؟ عندما يقع الطالب فى حب مشرفته أو يقول هذا ، فإن أول ما نفكر فيه هو أنه يحاول التسلق لإنهاء رسالته » .

ضحك فى حياء ثم قال :

ـ « بصـراحة . . لا أعتقـد أننى سأكمـل هذه الرسـالة . أنا فى لغز مخيف . . لست مهتمًا على الإطلاق بمعرفة ما يدور فى أمخاخ الفئران . . ربما كان على أن أعرف ما يدور فى مخى أنا » .

عقدت أناملها تحت ذقنها وتأملته فى فضول ، ثم قالت :

ـ « حتى هذه اللحظة لم أعرف حقًا كيف بدأ هذا كله ؟ »

أغمض عينيه وقال :

ـ « لا شىء . فترة طويلة من الأرق ثم بدأت أتعاطى عقار البزنوديازيبين لأنام . . امتنعت عن شرب الشاى والقهوة وصرت أدخل الفراش مبكرًا . . فعلت كل شىء . . ربما كان للحب المحبط دور هنا . . لا أعرف. لقد بدأ كل شىء بعد أن عرفتك، وكانت صورتك تلاحقنى فى غرفتى ليلًا . . أتذكر كل كلمة وكل نظرة جانبية وكل همسة . . » .

ابتسمت فى سخرية :

ـ « مراهقة متأخرة جدًا جدًا . . والأدهى أننى آخر شخص يمكن أن يقع مراهق فى غرامه . . أنا أعرف نفسى . . أبدو كأمينة مكتبة شرسة حادة الطباع ، وعلى قدر علمى لم يقع أحد فى غرام أمينة مكتبة ، ولم يسهر مفكرًا فيها مقروح الجفن مسهدًا » .

ـ « لا بد من بداية ! »

هممت تطالبه بالاستمرار فقال :

ـ « بعد فترة تمكنت من أن أنام . . التغذية الرجعية جعلتنى أسيطر على نفسى . . وهكذا قضيت عدة ليال هادئة ونمت، ولكنى لاحظت مع الوقت أننى أفعل أشياء غريبة جدًا . . أطارد أناسًا وأتسبب فى قتلهم . ثم أدركت أن الحقيقة هى أننى أتسلل لعوالم الآخرين أثناء نومهم . . أنا أدخل أحلام الآخرين وأطاردهم . . بل إننى أعبر من حلم لحلم » .

ـ « هل تجد هذه موهبة عادية ؟ »

تنهد وقال :

ـ « بالطبع لا . . كون الموهبة مذهلة لا يعنى أنها غير موجودة . . ثم إنى لم أطلب هذه المزية اللعينة ولم أرغبها . . فجأة وجدتها عندى ، ثم إننى كنت لأكون سعيدًا لو كانت طوع بنانى . . لو كنت أختار الأشخاص الذين أدخل منامهم ، أما أن تتقاذفنى الظروف فلا أختار من أدخل منامه، وفى كل ليلة أجد نفسى فى موضع لم أرده، فهذا شىء لا يروق لى على الإطلاق . . . »

قالت فى شك :

ـ « أنت تدخل منامى ؟ »

ـ « لم أختر هذا . . صدقينى . . وجدت نفسى فى أحلامك أو ربما أنت من دخلت أحلامى . . لا أدرى » .

ـ « هل تعرف أنك دخلت أحلام أهم مجموعة من المسئولين فى البلاد ؟ »

ـ « عرفت هذا مؤخرًا . . لم أختر هذا صدقينى . . ولا أعرف السبب . . معظم هؤلاء لم أرَ وجههم من قبل » .

جاء النادل بالمشروبين فطلبتْ منه قدح قهوة ، وأشعلتْ لفافة تبغ وقالت :

ـ « كيف يدخل المرء حلم شخص لم يره ولا يعرف عنه أى شىء ؟ »

نظر حوله فى حذر، ثم مال على المنضدة وقال :

ـ « اعتقـادى الخاص أن هـناك مـوردًا عامًا يـرده الحالمـون فى الكون كله . . كأن الحلم متنزه عام يزوره الجميع. يمكن للقادرين أن يدخلوا حلم أى شخص آخر . . لو كنت أملك الاختيار لدخلت أحلام رئيس الولايات المتحدة أو نجمة سينما أو قط . . لكن ما يحدث معى غير إرادى » .

نفثت دخانًا كثيفًا ثم قالت :

ـ « واضح طبعًا أن جدول أعمالك القادم يتضمن قتلى » .

ـ « لا أستطيع » .

ـ « ربما لا تريد . . لكنك تستطيع . . ربمـا صرت أنا شاهدًا خطرًا وأعرف أكثر من اللازم . . لا أدرى . ربما لأننى تورطت فى تلك القضية وكل من تورط فيها مات أو يموت أو سيموت . نحن فى مشكلة خطيرة . . سوف تنام وسوف أنام . . وعندها سوف نلتقى خلف تلك الشجرة فى المستنقع . . ليس عليك إلا أن تنشب أنيابك فى عنقى . . أو تغرقنى تحت مياه المستنقع إلى أن أختنق . . الأمر سهل كما ترى » .

ضرب المنضدة بقبضته وصاح فى عناد :

ـ « لن أقتلك أبدًا . . هذا ما أعرفه » .

نظر كثيرون فى الكافتيريا إليهما محاولين فهم هذه العلاقة الغريبة . . هناك رجل يقسم أنه لن يفتك بامرأة أكبر منه سنًا . . عاد يقول بصوت هامس :

ـ « كان على أن أقتلك كما هو واضح لكن حبى العميق لك منعنى . . حتى

فى الحلم الذى أسيطر عليه لم أستطع أن أقتلك . . . هناك أشياء لا يقدر المنوم مغناطيسيًا على عملها وكذلك الحالم . . عندما يفوق الأمر قدراته ومبادئه » .

هدأته بحركة من يدها . . ثم رشفت من القهوة وقالت:

ـ « أنصحك أن تنسانى . . هذه العلاقة العجيبة لن تفيد أحدنا . . »

وبحركة ذات دلالة أخرجت بعض المال ووضعته تحت قدح القهوة ، ثم وضعت علبة التبغ فى الحقيبة وغادرت المكان . .

★ ★ ★



١٠ ـ لا ينامان ..

دخلت الفراش فى تلك الليلة عازمة على نوم عميق . .

ابتلعت قرصًا من المنوم وأصلحت من وضع الوسادة . . سوف تلاحقها أفكار كثيرة جدًا ، ولسوف يعرض فيلم اليوم نفسه ألف مرة قبل أن تظفر بالنوم . .

الجديد فى هذه الليلة هو أنها خبأت تحت الوسادة سكينًا حادة أطبقت عليها بيدها . كان لورد بيرون الشاعر الكبير يضع تحت وسادته مسدسًا فإذا حلم بكابوس ـ وهو كان يفعل ذلك كثيرًا ـ فهو ينهض ملوحًا به فى عصبية . . .

سوف تكون السكين معها فى الحلم ، وسوف تستخدمها . .

★ ★ ★

هناك من وراء الشجرة راقبته وهو يركض نحوها . .

الآن تدرك أن هذه الملامح ملامحه هو . . نفس الملامح الأنثوية الرقيقة لو تم تضخيمها وكسوها بالشعر . . كما يحدث للمذءوبين فى السينما . .

هذه المرة لن تكرر الخطأ وتنتظره حتى يمر . . تعرف أنه سيعود حتمًا .

هكذا صرخت صرخة وحشية وخرجت من وراء الشجرة لتغمد السكين حتى المقبض فى صدره المشعر ، فأطلق عواء مخيفًا . . خيل لها أنه يقول :

ـ « إنجى !! »

لم تنتظر لتفهم بل أطلقت ساقيها للريح . ومن الغريب أنها لم تعد تخوض مستنقعًا هذه المرة . كانت تركض وسط شواهد قبور متداعية . . هذه مقبرة فى وقت الغروب لا تعرف متى بلغتها . . نظرت للخلف فرأت أن مطاردها يقف بعيدًا . . يترنح . . ثم ينتزع السكين من قلبه . .

يركض وسط المقابر بين شواهد القبور . .

القمر من أمامه لكنه فى الظل والضوء يسقط أمامه . . المخرج المجنون فى عقلها الباطن يلهو بالقواعد الفيزيائية كما يريد لخلق جو الرعب غير المنطقى الذى يصبو له . .

راحت تركض وسط الشواهد . . . تعرف أنها ستتعثر فورًا . .

ذئب أو كلب عملاق ينبح فى طريقها . . وجهت ركلة لفكه فأطلق صرخة أليمة وابتعد . عندما يطاردك مسخ كهذا تبدو الذئاب نوعًا من الأرانب .

وجدت فأسًا على الأرض فحملتها وعرفت أنها سلاحها القادم . .

وليد الشيخ . . سامحنى . عندما يطير رأسك فى حلمى سيطير كذلك فى حلمك ، وعلى الأرجح لن تستطيع أن تفتح عينك ثانية . . هذه من الرحلات المختصرة التى تغادر فيها عالم الميتة الصغرى إلى الميتة الكبرى مباشرة بلا ترانزيت .

توارت وراء شاهد قبر وراحت تلهث . .

رأته من بعيد ينحنى من وقت لآخر ليفحص الأرض . يقلب حجرًا . .

عندما دنا منها أكثر من اللازم استجمعت شهيقًا عميقًا وهوت على وجهه بالفأس .. كان المشهد بشعًا حيث سقط هناك وسط بركة من الدم. لكنها دققت البصر فى ضوء القمر فأدركت أن هذا هو أخوها . أخوها الذى تهشمت جمجمتـه . لا بأس .. هذا نـوع من الخلط المعـروف فـى الأحلام ..

لا سبيل للفرار كما هو واضح .

هناك حفرة جوارها . حفرة رطبة يبدو أنها كانت معدة لقبر آخر. انزلقت وسط التراب الناعم إلى قاعها .. راحت تجذب بعض الأغصان لتغطى نفسها . لكن . الغبار ناعم فعلاً .. إنها تنزلق لأسفل أكثر .. تغوووص . . . ورفعت رأسها محاولة أن تبقيه فوق التراب فأدركت أن التراب ينهال عليها من عل. هناك من يدفنها !! ..

هذا إذن من كوابيس الدفن حيًا وهو طراز عتيق جدًا من الكوابيس .. مثله كمثل كابوس السقوط من حالق .. كابوس قذر مخيف .. معنى هذا الحلم فى التفسير هو أن مخاوفنا تفسد علينا الحياة كلها .. عليك أن تتخلى عن قلقك الذى يسلبك حياتك . لو كنت تدارى سرًا فقد حان الوقت لتذيعه!

كلام جميل لكن لا وقت له الآن . الحلم حقيقى ومخيف ورائحة التراب الرطب تخنقها ..

راحت تصرخ وتخمش الغبار بيدها .. لا جدوى ..

لا تستطيع أن تجد القوة الكافية لتخرج . هناك كمية أكسجين تكفى ربع

ساعة .. أى ما يكفى لجعل موتها عصيبًا أليمًا .. وكانت تعرف يقينًا أنه هو من يهيل الغبار عليها .. يحبها لكنه مرغم على أن يدفنها حية ..

أخيرًا وجدت أنهـا راقدة على ظهـرها تحـت الأرض .. مغطاة بالغبار ما عدا جيبًا هوائيًا صغيرًا تتنفس منه. هل تقدر على إزاحته ؟ مستحيل .. ثم شعرت بتلك الأجسام الناعمة الدافئة تحتك بها .. فى هلع عرفت أنها فئران .. هناك شبكة فئران تحت الأرض.. فئران مقابر ضخمة متوحشة لها أنوف حرشفية وشعور مشعثة ورائحة كريهة .. فئران تدربت على أكل أشياء أخرى غير الحبوب والخشب !

هذا لن يكون . راحت تصرخ .. تصرخ ثم شعرت بفأر يقضم أصبعها السبابة ..

إن هذا لا يطاق . . . من بين كل الميتات التى تخيلتها كانت هذه أسوأها فلا عجب أن القفص الذى يحوى الفأر كان هو الذى جعل السجين يحب الأخ الأكبر ، فى رائعة أورويل ١٩٨٤ ..

صرخت من جديد . . . وعندما أرهقتها حنجرتها كانت تتلوى على أرض الغرفة المكسوة بالموكيت، بينما الكلب يلعق وجهها كالعادة . . . هذا الكلب سيموت بالرعب قبلها بكثير !

احتضنته ولثمت أنفه الباردة المبللة دائمًا ، فأطلق نباحًا خفيضًا ..

قالت له :

ـ « لا تقلق .. صاحبتك فى الطريق إلى الجنون أو الموت .. المشكلة

هى أنهم سيلقون بك فى الشارع . . لن تجد شخصًا لطيفًا يأخذك معه لداره . سيكون عليك تعلم القتال وتحمل لحظات الجوع » .

وفكرت بعض الحين وخطرت لها فكرة معقولة :

لماذا لا تعمل على موت وليد الشيخ ؟

حل عنيف جذرى لكنه ممتاز . . لكن هل تجرؤ على ذلك ؟

★ ★ ★

تغيرت حياة عبير تمامًا . .

صارت فكرة النوم تفزعها ، فمن الوارد جدًا أن تعود لهذا القبر بالذات، ومع كل هذه الفئران القذرة . . هى بخير طالما ظلت متيقظة . .

عند الفجر شعرت برغبة عارمة فى النوم فنهضت وأعدت لنفسها الكثير من القهوة ثم خرجت إلى الشرفة . . الهواء البارد الأزرق الغض سوف ينعشها . .

راحت تعب أنفاسها فى جشع . .

هذا وضع مقلق غير مريح . . العدو لم يرحل . . العدو ينتظرك . . يمكنها فهم شعور عصام السمدونى . .كيف راحوا يوقظونه كلما ثقل جفناه . . لقد تعذب فعلاً .

لا تقدر على الذهاب للعمل اليوم، لكن لابد لها من أن تذهب . . ماذا يفعله الشخص الذى لم ينم ليلاً سوى أن ينام صباحًا ؟

لابد أن تذهب . .

وبالفعل سرعان ما كانت تغادر شقتها فى السابعة صباحًا مودعة الكلب ، ولم تجرؤ على قيادة سيارتها بهذه الحالة من النعاس لذا استوقفت سيارة أجـرة . . ستذهـب إلى . . إلى . . لا تعـرف لها مكانًا غـير الكليـة والمركز . .

طلبت من السائق أن يأخذها إلى الكلية . .

سيكون عسيرًا أن يسمح لها رجل الأمن بالدخول مبكرًا هكذا ما لم يكن يعرفها .

تمر سيارة الأجرة فى شارع تراصت على جانبيه المقاهى الساهرة . هذه مقاه ساهرة لذا لم يكن هناك من صحا مبكرًا ليفتتحها . .

على الجانبين يجلس السائقون ورجال الشرطة يلتهمون إفطارهم بسرعة ويدخنون حجرين من المعسل قبل بدء العمل . هذا المقهى . . لافتة كتب عليهـا (قهوة الأمراء) . . كل المقـاهى اسمها قهوة الأمراء منذ فجر التاريخ . فى الخارج ترى منضدة عليها كوبان فارغان من الشاى وترى شيشة وهناك شاب يجلس متوترًا يأخذ نفسًا آخر وينظر حوله . .

وليد الشيخ !

لم ينم مثلها كما هو واضح . . قضى ليلته هنا يشرب الشاى الثقيل ويدخن الشيشة .

وابتسمت . . معنى هذا أنه صادق فعلاً . لا يرغب فى أن يؤذيها لكنه مضطر . . كيف ولماذا ؟ لا إجابات . .

ما لم تعرفه عبير هو أن الفتى قضى فعلاً أسود أيامه مؤخرًا . .

أدرك أنه يرتكب مصيبة فى كل مرة ينام فيها ، والأسوأ أنه كان يحبها فعلاً . . لا يطيق فكرة أن يجدوها ميتة فى الفراش بسببه . . لهذا راح يرتاد المقاهى بكثرة . كلما اقترب الليل راح يمشى على الكورنيش أو يقصد حيًا لا ينام ليمضى الليل على المقهى يدخن الشيشة ويشرب القهوة . .

القهوة !. . شرب منها الكثير فعلاً حتى لم تعد أى ضربة من قلبه تشبه الأخرى . .

عندما تقاوم النوم تدرك أن القهوة أقوى مخدر فى التاريخ، وتتساءل لماذا لا يعطون المريض بعض القهوة قبل الجراحة لينام ؟ . علاج الأرق الأقوى هو أن تمنع نفسك من النوم، وأن يكون فى النوم خراب بيتك . .

كان طالبًا متفوقًا فى المدرسة ، ولا يذكر أن أى طالب فى الثانوية العامة كان يشكو الأرق . . كلهم كانوا يعانون كثرة النوم . .

تعلم كذلك من صديق طبيب أن يأخذ حقن الفروسيمايد (اللاسكس) لتمتلئ مثانته طيلة الوقت . هكذا لا يغمض عينيه خمس دقائق إلا ويشعر أن مثانته توشك على الانفجار ويهرع إلى الحمام . .

ثم تعلم أن يبتلع أقراصًا معينة أخبره بها أحد المدمنين . . قال له إن سائقى الشاحنات يبتلعونها فى بداية الليل فيظلون ساهرين ثلاث ليال . . . ويتمكنون من القيادة كذلك . طبعًا يتمكنون إلى أن يقتحموا أول شجرة أو يسقطوا فى أول مصرف . .

صحيـح أن هذا يدمـر صحته تدميـرًا . . لكنه أفضـل من أن يدمرها هى . .

هى الآن قد سجنت حية تحت التراب . . هناك فئران مسعورة كذلك . . فئران تربت على التهام لحم الموتى . لكن إنجى لم تمت . . سوف تتمكن من الفرار على الأرجح ، لكنه يعتقد أنه سينتظرها خارج القبر ليهوى على رأسها بشىء ثقيل . . لا شك فى هذا . .

لن ينام . . لا . . .

ربما تستكمل هى الكابوس وحدها وتنجو . . فقط يجب ألا يكون هناك بقربها . .

لم يستمر السهر على كل حال . . غاب عن الوعى ذات مرة ، فرأى نفسه فى جزيرة فى محيط . . رأى أنه يقف جوار الشط يرمق الأمواج المتلاطمة ويسمع صوت القوقعة الذى كان يشجيه فى طفولته . الرذاذ المالح يلفح بشرته ثم رأى أن كلبًا من نوع الريتريفار يعوى ويطارده . .

كان الكلب صغيرًا والخيار سهلاً . . وجه ركلة عنيفة لخصر الكلب فسقط ثم حمله للماء وبدأ يحاول إغراقه . . سيبقى رأسه تحت الماء أطول فترة ممكنة . . المهم ألا يتعرض للعض . .

هنا شعر بيد باردة تمنعه من إغراق الكلب أكثر . . سمع من يصرخ :

ـ « مش هنا يا أستاذ ! »

فاستدار ليفتك بمن يهاجمه . .

كان القهوجى يربت على كتفه فى إلحاح :

ـ « النوم ممنوع هنا يا أستاذ . اطلب مشروبًا أو ارحل ! »

أفاق مذعورًا شاعرًا بتنميل فى جسده كله . . كان هذا كابوسًا إذن يلعب هو دور المطارد فيه ـ بكسر الراء ـ ومن الواضح أن اختراقه للأحلام صار عجيبًا . . هذه المرة اخترق أحلام كلب على الأرجح . . فلابد أن كلبًا فى مكان ما صحا مذعورًا وراح ينبح ويجاهد للتنفس . . .

ككل أحلام المنبه كانت مثانته مليئة تمامًا . . لهذا حلم بالبحر طبعًا . . . إن اللاسكس مدر قوى فعلاً . .

طلب كوبًا آخر من الشاى الثقيل، ثم ذهب باحثًا عن حمام يفرغ فيه بحار البول . . ليس هناك سوى ميضئة المسجد . .

لا يدرى ما حدث لكنه ضبط نفسه جوار عمود فى المسجد يوشك على بدء نوم جديد . .

نهض مذعورًا وصمم على أن يمضى الساعات التالية ماشيًا . .

★ ★ ★

١١ ـ وضع مستحيل ..

عندما راح الكلب يتلوى أثناء نومه كأنه يختنق، خمنت عبير تقريبًا ما يحدث . .

نهضت وراحت تهزه ليفيق . . وجهت له عدة صفعات فأخرج لسانه وفتح عينيه وراح يعوى بطريقة مثيرة للشفقة. الحيوانات تحلم وتمر بمرحلة REM ولهذا فهى ترى الكوابيس كذلك . .

لقد دخل الفتى إلى حلم الكلب كما هو واضح . .

لحسن الحظ ما زال الكلب حيًا . أنهضته وجعلته يستريح على صدرها . . لم تر من قبل كل هذا الذعر فى كائن حى . إن الفتى يدخل كل الأحلام ويجول بحرية مطلقة . .

من الواضح أن النعاس غلبه . .

هى أيضًا غلبها النعاس وهى فى العمل . . لكن من الواضح أنه لم يكن نائمًا لذا مر النوم بسلام . رن جرس الهاتف فرفعت السماعة لتسمعه يقول :

ـ « إنجى !»

إنه هو . وما زال الوغد مصرًا على نزع الألقاب كأنهما صديقان قديمان.

قالت فى فتور :

ـ « ليس هناك من يدعى بهذا الاسم . هناك دكتورة إنجى »



قال فى نفاد صبر:

ـ « انسى هذا السخف للحظة ! »

سخف ؟ ؟

كادت ترد لكنه قال على الفور:

ـ « سوف نجن معًا .. علينا تقسيم فترات النوم .. أنت تنامين من التاسعة للثانية عشرة صباحًا ومساء ، وأنا أنام من الرابعة للسابعة صباحًا ومساء .. هذا يمنع أى تصادم بين حلمينا .. هكذا يظفر كل منا بست ساعات .. »

بدا لها الحل مقنعًا .. لكن النوم بموعد مسبق يبدو لها أمرًا غريبًا ..

قالت له :

ـ « هذا جميل .. لكن من قال لك إننى أنام بسهولة ؟ .. أتعب جدًا حتى أنام ، ومعنى هذا أن ظفرى بالنوم شىء لا يمكن أن أبرمجه »

ثم أضافت فى عصبية :

ـ « دع كلبى فى حاله .. هذا حيوان برىء »

قال دون أن يعلق :

ـ « سوف أرن لك الهاتف .. لو رددت لعلمت أنك متيقظة ولصار بوسعى النوم .. لو لم تردى لظللت متيقظًا بأى طريقة »

هذا الفتى أحمق لكنه منطقى ..

قالت فى غير اكتراث :

ـ « ليكن »

ووضعت السماعة ..

★ ★ ★

هكذا بدأت تجربة جديدة هى النوم التبادلى ..

رنننننننننننن !.. يدق جرس الهاتف فتضغط زر الإجابة .. لا تتكلم لأنها لا تملك الكثير من المودة ، لكنها على الأقل تسمح لهذا البائس ببعض النـوم .. ثم ـ بعد وقـت طـويل ـ تتناول قرصًا منومًا وتضع رأسها على الوسادة .. وفى هذه الظروف لم تكن تحلم على الإطلاق .. على الأرجح يدق الجرس فلا تسمعه .. كانت تعرف أنه على الأرجح ذهب للمقهى ليشرب جالونات من القهوة على أساس أنها نامت ..

لكن لابد من أخطاء فى كل نظام محكم ..

ذات مرة دق جرس الهاتف وهى متيقظة فلم تضغط زر الإجابة .. لم تسمع الجرس ..

بعد ساعة غلبها النعاس ، ومن الواضح أنه افترض أنها نالت كفايتها من النوم واستيقظت .. تعقيد شديد كما ترى ..

حدث ما تخشاه .

كانت هنـاك فى تلك المقبرة تحت التراب تتلوى .. هناك فأر يقضم أناملها .. تصرخ ..

ثم شعـرت بمـن يـدق التـربة بقوة فوق رأسها .. هناك من يزيح التراب .. الهواء يتسرب ..

تأخذ شهيقًا عميقًا تملأ به رئتيها ..

ما أجمل الهواء !

لكن الظلام دامس من حولها وهى تدرك أن من يحاول إنقاذها هو نفس المسخ .. إنه جاث على ركبتيه يزيح التراب واللعاب يسيل من فمه ..

يفضل أن يلتهمها على أن تظفر بها الفئران ..

التقطت حجرًا وجدته جوار أناملها وهوت على وجهه بأعنف ما استطاعت ثم وثبت هاربة من القبر نصف المفتوح .. سمعته يعوى ألمًا لكنها تعرف أن لحظات عجزه لا تطول للأسف ..

انطلقت تجرى فارة ...

سمعت لهاثًا من ورائها ..

فجأة أدركت أنها لم تعد فى المقبرة .. هى تركض على الطريق السريع بينمـا سيـارة غامضة سـوداء تطاردها .. تعرف جيدًا أنه هو راكب السيارة ..

اهدئى .. اهدئى .. سوف يتحطم قلبك ..

ترى ظلها طويلاً على الأرض لأن كشافاته تسقط عليها من الخلف ..

كلما قصر الظل عرفت أنه يقترب ..

بسرعة انزلقت إلى جانب الطريق المنحدر ..

تدحـرجت كالحجر وسـط الصخـور والنباتات الشائكـة التى مزقت ساقيها ..

ثم نظرت لأعلى .. رأته هناك فى كشافات السيارة .. إنه يبحث عنها ثم يترجل ببطء .. أدركت أنه يحمل سيفًا عملاقًا فى يده .. يحمله بطريقة تدل على الاحترافية كأنه ساموراى يابانى .. هذه الطريقة توحى بإطارة الأطراف ثم قطع العنق ..

يجب أن تظل حيث هى ..

يجب ألا تتحرك ..

لتدع الله ألا يجدها ..

لكن .. متى كانت تحمل الهاتف المحمول ؟

لم يظهر فى الحلم من قبل .. لقد دوى رنينه ..

رررررررررررررررررررررررررررررررررررن !

هنا رأته ينظر باتجاهها .. يهرع نحوها وهو يرسم دوائر بالسيف فى الهواء ..

★ ★ ★

صحت من النوم خائفة ترتجف ..

ترررررررررررررن !

كان الهاتف المحمول جوارها يدق بلا توقف .. رأت رقم صديقة لها .. لن ترد ..

هى تعرف ما حدث طبعًا . افترض أنها قد صحت من نومها من ثم أخلد للنوم وتلاقى الحلمان .. لن يستمر الأمر على هذا المنوال .. سوف تجن

أو يجن . . أو يجنان معًا ، كما أنه يقترب لحظة بلحظة من قتلها . . لو طار عنقها فى الحلم فلربما انضمت إلى نادى (جثة ـ فى ـ الفراش) . .

الآن اتخذت قرارها . . سوف تواجهه . . . . .

سوف تدخل عالم الحلم قبله وتنتظره . . لن يكون هو صاحب المبادأة بل هى . .

لكن لابد أن يكون معها أحد . . لابد من شخص يحميها ويراقبها أثناء النوم . انتقت من المطبخ سكينًا ووجدت عصا غليظة . . كان لديها صاعق كهربى واق فأخذته معها ، ونزلت من البيت لتستقل سيارة أجرة إلى المركز النفسى . .

كانت الساعة السابعة صباحًا عندما اجتازت المدخل . .

رمقتها الممرضة بدهشة فهذا ليس موعدها المعتاد . .

لكن إنجى كانت تعرف أن د. مصطفى هنا ، فهو يتلقى تقارير مختبر النوم . . وجهه الخشبى الجاف يرسم شبه ابتسامة وهو يتفحص رسم مخ أمامه . .

نهض ليحييها . . فأشارت له فى عصبية كى يجلس . .

وفى كلمات سريعة عصبية شرحت له قصتها كاملة . . بدا منبهرًا لا يصدق حرفًا لكنهـا كانت متمسكة بكلامـها ولا تتـرك له فرصة للنقاش أو الجدل . .

ـ « وماذا أستطيع عمله ؟ »

ـ « سوف أدخل تجربة النوم الآن . . سأكون متأهبة مسلحة بالصاعق والسكين والعصا . . . وسوف تكون المبادأة معى . . سوف أقتله فـى الحلم » .

ثم أخرجت هاتفها المحمول ووضعته على المنضدة :

ـ « سـوف يتصل بى بـعد قليل ليرى إن كنت متيقظة أم نائمة . . ليس عليك سـوى ضغط زر الإجـابة . هكـذا سيفترض أننى متيقظة وينام . . سوف يفاجأ بى فى الحلم »

قال د. مصطفى وهو متحير :

ـ « لكننا فى السابعة صباحًا . . هل تتوقعين أن تنامى ؟ »

ـ « لهذا اخترع الناس المنومات »

ثم أضافت فى قلق :

ـ « سوف تراقب معدلات النبض وضغط الدم . . لو شعرت بأن الأمور خطـرة فمعنى هذا أنـه يوشك على قتلـى . . يجـب أن توقظنى وقتها بأى ثمن . . لو لم تفعل فلن أصحو أبدًا . . لهذا السبب أجريت التجربة فى مختبر النوم . أنا بحاجة إلى من يعنى بى »

ثم دخلت إلى غرفة النوم فنزعت حذاءها وتسلقت الفراش . . أمسكت بالسكين والعصا فى يد والصاعق فى يد . . ابتسم مصطفى وقال :

ـ « تذكريننى بمومياوات الفراعنة التى تضم عصوين إلى صدرها »

لم تبتسم . . .

★ ★ ★

هكذا قال لها الدكتور مصطفى وهو يناولها القرص المنوم :

ـ « أتمنى لك التوفيق . . إن شجاعتك لخارقة »

ابتسمت فى سخرية . كانت تتصور أنماطًا عديدة للشجاعة ، لكنها لم تتخيل قط أن تكون هناك شجاعة فى النوم المريح . .

كانت الغرفة مريحة خافتة الإضاءة، لكن هناك كاميرا جدارية مصوبة عليها، وبالطبع كانت هناك أقطاب عدة مثبتة لرأسها، وعلى صدرها . . كما أن مقياس أكسجين الدم (أوكسيميتر) كان مثبتًا فى إبهامها . الحقيقة أنها كانت تشعر كأنها أخطبوط . . أخطبوط تراقبه كاميرات ناشونال جيوجرافيكس النهمة .

مختبر النوم . . الموضة العلمية الجديدة التى عرفها الثلث الأخير من القرن العشرين . هناك تمر بما يسمى (رسم النوم المتعدد Polysomnography) . تنام كطفل بينما هم يقيسون لك تخطيط الدماغ وحركة العينين ونشاط العضلات وتخطيط القلب وكذا نسبة أكسجين الدم . .

الأمر يشبه جهاز كشف الكذب نوعًا لكنه أعقد . . ومهمته الرئيسة تشخيص أسباب الأرق وأسباب توقف التنفس ليلاً وكثرة نومك فى النهار . .

أغمضت عينيها وراحت تتنفس بعمق . .

لم يكن الانتقال صعبًا . . .

بعد قليل رأت أنها هناك فى تلك الغابة على جانب الطريق . . وكما توقعتْ كانت مسلحة بالسكين والعصا وفى جيبها الصاعق . .

لقد دخلت هذه الأشياء الحلم معها . .

كمنت هناك تنتظر . . سوف ينام قريبًا ولسوف يدخل حلمها . عندها سوف تفتك به . .

مر الوقت ثقيلاً . .

فجأة رأت المسخ من بعيد وهو يلوح بالسيف . . كان يبحث عنها . تأهبت للهجوم . . لا يعرف بالمكان الذى توارت فيه . . يبحث عنها فى الموضع السابق . بين لوحى الكتف . . سوف تصعقه بين لوحى الكتف ثم تحطم رأسه بالعصا . . لا سبيل أمامها سوى هذا . . وهو . . سوف يموت أثناء النوم ويجدون جثته فى الصباح . .

فجأة رأته يتوقف . يطوح بالسيف . . يرفع ذراعيه لأعلى . .

صاح فارتجت الغابة :

ـ « إنجيييييى ! »

لم ترد فعاود النداء :

ـ « إنجيييى !! »

ثم أردف :

ـ « أعرف أنك هنا فى الأحراش . . صدقينى لم أتعمد ما أنا فيه . كنت فى حالة أرق مزمنة فجئت للمركز الذى تعملين فيه ، ولم تلق . قابلت من

يدعى د. مصطفى لطلب العلاج .. هكذا اكتشف الظاهرة الغريبة التى أمر بها وهى قدرتى على دخول عوالم حلم الآخرين .. قال إنه سيجرب معى التغذية الرجعية . أعتقد أنه نومنى مغناطيسيًا كى أقتل من يشاء هو ولا أتذكر ما فعلته أو أستطيع السيطرة عليه .. الآن فقط أتذكر عينيه وكلماته الهامسة لى . هل رأيت فيلم عيادة د. كاليجارى ؟ كان د. كاليجارى قد نوم مريضًا نفسيًا ليصير قاتلاً يفتك له بمن يريد .. لقد فعل معى الشىء ذاته ، لكنه استغل قدرتى على دخول الأحلام .. كانت لديه قائمة من الناس المهمين .. الأسماء اللامعة التى يجدها فى الصحف . السبب هو أنه يملك عقلية نازية مخبولة ولمحة من جنون العظمة .. هكذا بدأ مسلسل اغتيال هؤلاء المشاهير .. كنت أنت آخر اسم فى القائمة لكنى حاولت جاهدًا أن أقاوم .. أنت فى أمان الآن !! »

خرجت من مكمنها وهتفت :

ـ « فى أمان ؟ . كيف ؟ »

ابتسم . للمرة الأولى ترى ابتسامته فى الظلام .. بدا وسيمًا فى عينيها لأول مرة . قال :

ـ « الأرض لا تتسع كلينا .. يجب لواحد منا أن يرحل ليعيش الآخر وينام فى سلام .. أنا الآن أحلم حلمى الأخير . لقد ابتلعت علبة منوم كاملة لأريحك من تهديدى ، لكنى فى حلم الموت الأخير رأيتك .. كان هذا أجمل مما توقعت .. »

فتحت فمها لتتكلم لكنه هتف :

ـ « يجب أن تنسينى .. يجب كذلك أن تفيقى بسرعة لأن جسدك نائم فى مختبر طبيب مجنون .. أنت تحت رحمته . يجب أن تفيقى »

. . . . . ؟

ـ « يجب أن تفيقى ! »

ورأته يرتفع لأعلى ... يبتعد ويبتعد . . . .

للمرة الأولى وجدت نفسها تناديه فى لوعة :

ـ « وليييييييييد !! »

ثم ساد الظلام . . .

★ ★ ★

فتحت عينيها في لحظة لتجد أن د. مصطفى يحمل محقنًا يوشك على غرسه فى وريد ساعدها .. لا تعرف أى حقنة هذا ولا ما ينتويه . .

كان رد فعلها أسرع من تفكيرها ، فسرعان ما غرست السكين حتى المقبض فى عنقه !

نظر لها غير مصدق وتحشرج صوته . آسف لأننى لا أستطيع الكلام بوضوح لأن هناك مدية تخترق عنقى . .

ارتجف كورقة ثم سقط على الأرض . .

ماذا فعلته ؟

لكنها كانت تدرك أن الرؤيا التى رأتها صادقة .. وليد الشيخ قد مات ،

ومصطفى هو المسئول عن كل هذا . . وعلى الأرجح كان سيقتلها أو يضعها تحت رحمته . . من الطريف أن تكتشف أن زميل عملك سفاح له ميول نازية . . . . .

لقد مات الفتى الخجول الرقيق القادم من دناصور . . الآن فقط تدرك أنها تحبه . . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

قد يحيا المرء مع كلب . .

قد يحيا المرء مع زهرة . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

اخترع الإنسان السينما والذكريات . .

اخترع ظلًا . .

من أجل ألا يعيش المرء وحيدًا

ينتظر المرء الربيع . . وعندما يموت الربيع ينتظر الربيع التالي . .

المهم الآن أنها ارتكبت جريمة قتل وقد ضاع مستقبلها على الأرجح . .

ماذا تفعل ؟ لا جدوى من الفرار . . الكل رأوها تدخل هنا . . وكلبها ؟ كلبها المسكين سيموت جوعًا . . لا تفكر إلا فى هذا . .

هنا شعرت بيد توضع على كتفها . .

سمعت الصوت المألوف المحبب من خلفها . . المرشد هنا . . لقد نسيت أنها فى فانتازيا . .

قال المرشد :

ـ « سوف أحل لك مشكلة الفرار من جريمة قتل . . يمكننا أن نرحل الآن ما لم ترغبى فى تجربة مغامرة المحاكمة واتهامك بالقتل . . وربما الإعدام شنقًا »

قالت فى إنهاك وهى تمسح الدم عن أناملها في الملاءة :

ـ « لا شكرًا . . أرجوك أن نرحل »

غادرا المركز النفسى وهبطا فى المصعد . . قالت له وهما يخرجان من المدخل إلى الشمس الساطعة :

ـ « نادرة هى المرات التى أحلم فيها داخل فانتازيا أننى أحلم ! »

قال فى ملل :

ـ « لو تذكرت . . هنـاك قصة لك اسمهـا (بين عالمين) شبيهة بهذه نوعًا »

كانت تفكر في المغامرة القادمة . .

ترى ما هى ؟

الوعد الذى قطعه جوناثان للعرب المتشرذمين بأن يجد لهم وطنًا قوميًا فى أمريكا !

★ ★ ★

تمت بحمد الله

نادى المحاربين الجدد

اليوم نقابل بعض إبداعات القراء كما هي العادة. صديقي عمر محمد أحمد من الإسكندرية (١٧ سنة) يقدم لنا قصته القصيرة (زهور الحائط) :

زهور الحائط

« هيا يا فتاة! سنستمتع بوقتنا و لن نتأخر! إنه مكان راق و قريب ! »

« لا أدرى مممممممم. . . . . . حسنًا ! »

« أنتظرك ! »

بهذه الكلمات أنهت صديقتى روان كلامها معى، إنها اجتماعية جدًا، بينما أنا العكس تمامًا، أنا أمقت الخروج تمامًا ! بالرغم أن هذا هو سن الشباب الذى يملك الإنسان فيه حرية الحركة، لكنى سأذهب معها إلى ذلك المقهى الصغير الأنيق مجاملة لها، إن بعض أصدقائنا من الجامعة قادمون أيضًا، هى ستستمتع بوقتها بالتأكيد، أما أنا فسأمارس دورى المعتاد كـ(زهرة حائط) دخلت غرفتى وبدأت أغير ملابسى و. . . . . .

★ ★ ★

. . . . . أنهيت ارتداء ملابسى على عجل، لمعت حذائى الأسود و أنا أسب و ألعن، ما الداعى لإنفاق الوقت و الجهد و المال أيضاً فى تلميع حذاء مادام سيتسخ مرة أخرى بمجرد نزولى الشارع فى هذا الجو؟! كانت تمطر بغزارة و لا زالت تمطر و بالتأكيد ستتكون أكوام من الطين فى الشوارع نحن فى الإسكندرية ولسنا فى لندن لكن مع ذلك للإسكندرية سحرها فى

الشتاء، نظرت فى المرآة إلى لحيتى الخفيفة و خطر لى أن أخلع ملابسى وأحلق لكننى عدلت عن الفكرة، ليس أمامى الكثير من الوقت كما أن اللحية تضفى لى بعض الوقار، حملت صندوقى الخشبى وارتديت قبعتى المستديرة ومشيت بهدوء خارج شقتى و أنا أحمل فى يدى الأخرى مظلة سوداء، لدى عمل أقوم به فى أحد المقاهى وحتى يأتى موعدى سأجلس لأمارس هوايتى كـ(زهرة حائـط) ، خرجت مـن العمارة و كانت السـماء ملبـدة بالغيـوم وكان. . . . . .

★ ★ ★

. . . . . الجو ممطر، لم أرد النزول لكن روان أصرت، مشيت معها ونحن نمسك بمظلاتنا بقوة كي لا تطير، كان المكان قريبًا لذا لم نأخذ (تاكسى)، اقتربنا من المكان، الآن نمشى فى الممر الضيق المؤدى للمحل الذى يقع داخل أحد العمارات، كان يمشى أمامنا رجل طويل القامة، يرتدى قبعة مستديرة قديمة الطراز جدًا ومعطفًا طويلًا وكان يمسك بمظلة مطوية فى يد و فى الأخرى صندوق خشبى غريب الشكل، وقد جعله الضوء القادم من نهاية الممر مجرد (سيلويت) دخل الرجل قبلنا ودخلنا نحن ووجدنا الأصدقاء قد ملئوا حوالى ثمانية كراسى وضموا طاولتين لكى تسعهم بعد أن تبادلت التحية تابعت الرجل الغريب فوجدته يجلس على مائدة قصية فى طرف القاعة، كانت تسمح له برؤية القاعة كلها دون أن يراه أحد لظلام هذا الركن من القاعة، ما كنت لأختار مكانًا غير هذا لأجلس فيه هذا لو كنت وحدى بالطبع ـ جاء النادل وسألنا عما نريد فطلبت. . . . . .

★ ★ ★

. . . . . كوبًا من الشاى بالطبع ! لست من عشـاق القهـوة كباقى أصدقائى ، الشاى يهدئ أعصابى أكثر وبدأت أتسلى بمراقبة رواد المقهى من موقعى الاستراتيجى فى نهاية القاعة، وجدت هناك ذلك الفتى الرقيع الذى يمسك بجيتار تعلم عليه العزف أمس ويحاول أن يتظرف ليبهر الفتيات اللاتى يجلسن حوله، واحدة منهن كانت أكثر انبهارًا بدا عليها شدة التفاهة، أنا عازف و أؤكد أن كل مايعزفه الفتى الرقيع ضوضاء غبية، هناك فتاة تجلس وحدها فى أحد أركان القاعة، كانت قد قصت شعرها ليصبح قصيرًا و كانت تدخن سيجـارة و تضع أمامها كوبًا من القهـوة وتقرأ ومن وقت إلى آخر تنظـر إلى الفتـى الرقيع باشمئزاز ثـم تهـز رأسهـا وتكمل قراءة الكتاب، هى بالتأكيد ناشطة حقوقية، والشاب يمثل لها نموذجًا للمجتمع (الذكورى المتعفن) وفى الحقيقة أننى أشفق عليها، إنها تحرق أعصابها كما تحرق صحتها بالسجائر، حتى السجائر لا أظن أنها تشربها من باب المزاج، بل من باب العناد والتحدى . . حولت نظرى لأجد فتى وفتاة حديثى السن وحدهما على إحدى الموائد يتحدثان همسًا، لم أتمالك نفسى من الابتسام ولكن كالعادة مع الفتيات الحساسات أحست الفتاة بأنى أنظر إليهما فقالت للفتى شيئًا وهى تشير لى ، نظر لى الفتى متحفزًا وقد انعقد حاجباه فى غضب، لم أحول رأسى عنه، نظرت له بسخرية ثم بتلذذ كأننى أراقب شخصًا فى ورطة مضحكة، نظرة كأننى أقول له : لا تظن أن الحياة جميلة جدًا يا فتى، اسمعها من شخص ذى خبرة ! ثم أشحت وجهى و أنا أضحك ضحكة ساخرة خافتة ورفعت الكوب بيدى . . . .

★ ★ ★

. . . . . . ورشفت رشفة من الشاى، كان كل أصدقائي منشغلين بالحوار مع بعضهم البعض، إذًا لماذا لا أكمل مراقبتى للناس ؟ هذه الفتاة ذات الحجاب الواسع وذلك الشاب اللذان يجلسان هناك، كان معهما طفل صغير لابد أنه أخو الفتاة ويمثل دور (العذول)، إنهما مخطوبان هذا واضح لابد أنهما يتناقشان فى مسألة الشقة و العفش و و و . . . . . الخ . وكان هناك أحد السقاة يعمل ووجهه صارم وفى يده خاتم خطوبة، واضح من عينيه الحمراوين أنه يعمل بوظيفتين ليتم مصاريف زواجه، وكان هناك ساق آخر مراهق يتجادل مع كبير السقاة و كبير السقاة يتحدث وهو يشير إلى القاعة الممتلئة والفتى يشير إلى ساعته فيرد كبير السقاة الكهل بهدوء وهو يربت على كتف الفتى ، والفتى قد هز رأسه مستسلمًا ثم انتحى جانبًا ليتكلم فى هاتفه المحمول ، لابد أن كبير السقاة أخبره أنه سيتأخر اليوم فى العودة لبيته لأن القاعة مزدحمة و الفتى لابد أنه يتصل بأهله ليخبرهم أنه سيتأخر، أما كبير السقاة فقد ارتسمت على وجهه المتعب الملىء بالتجاعيد علائم الارتياح وهو ينظر إلى الزبائن ، لا بد أنه يفكر فى الإضافى الذى سيصرف له من أجل خدمته فى يوم كهذا ، نظرت ناحية الحمام فوجدت فتاة تخـرج منـه وهى تضع يدها على وجهها وهى تمشى مسرعة حتى أنها كادت تصطدم بكبير السقاة فى طريقها للخروج من المقهى ، لا ريب أن هناك وغدا قد حطم قلبها و قد أمضت بعض الوقت تبكى فى الحمام ، لا بأس يا فتاة ، يومين على الأكثر ثم ستنسينه لأنه وغد ! مجرد وغد مخادع ! نظرت فى ساعتى ، ترى هل . . . .

★ ★ ★

. . . . مر الكثير من الوقت ؟ أريد أن أنتهى لكى أذهب بيتى وأنام ملىء جفونى حتى الصباح ! لا بأس فلأكمل مراقبتى ! نظرت إلى طاولتين متلاصقتين جلس عليهما بعض الأصدقاء ، حوالى عشرة ، كان هناك ثلاثة فتيان يتناقشون بحدة ، غالبًا فى السياسة أو فى كرة القدم ، و كانت هناك فتاة تمسك بهاتفها المحمول ولا ترفع رأسها عنه، لابد أنها لم تتبادل كلمة واحدة مع أصدقائها وبعد قليل ستطلب منهم أن تصورهم (Selfie) لكى تضع الصورة على (الفيس بوك) لتثبت للجميع أنها تستمتع بحياتها وأنها اجتماعية للغاية ، وكان هناك بضع فتيات يتكلمن وهن يضحكن من حين لآخر ، وكان هناك فتى ينظر لإحداهن من حين لآخر بتركيز ثم يخط خطوطًا بقلم رصاص على ورقة بيضاء ، لابد أنه غارق لأذنيه فى حبها وهى لا تعرف وهو خائف أن يأخذ خطوة فيخبرها ، لابد أنه قد رسم له عشرات الرسومات ، ثم نظرت إلى فتاة كل ما فيها أبيض ، ملابسها ، وجهها ، قلبها ، لكن بالرغم من بياضها كانت تبدو كأنها تشع باللون. . . . .

★ ★ ★

. . . . الرمادى !!! إنه ـ بالرغم من الأسود الأنيق الذى يحيط به ـ يشع بالرمادى ، لونى المفضل ! لون محايد يضم جميع الألــوان، نظـرت له و ابتسمت .. خرج وجهه من الظلال المحيطة به و نظر إلىّ و. . . . . .

★ ★ ★

. . . . . . ابتسمت !!! لا يمكنك أن تراها دون أن تبتسم لها !!! كانت ذا وجه طفولى صغير ، وجه يليق بـ . . . .

★ ★ ★

. . . . . زهرة حائط !!! إنه زهرة حائط بالرغم من صرامة وجهه وحدة ملامحه .. تبادلنا حوارًا بالأعين قبل أن يقول مدير المسرح الصغير الموجود بالقاعة : . . . . .

★ ★ ★

. . . . . « سيداتى آنساتى وسادتى ، يسرنى أن أقدم لكم عازف الـ(Jazz) الموهوب ، محمد سمير !!!! »

دوى التصفيق ! لقد حانت فقرتى فى وقت غير مناسب تمامًا !! حملت صندوقى و صعدت للمسرح و أنا أنحنى للجمهور ثم أخرجت (الساكسفون) من صندوقى وجلست ثم بدأت أعزف مقطوعة (المحقق البلجيكى ـ لـ. . . . .

★ ★ ★

. . . . . كريستوفر جانينج) !!!! كم أعشق تلك المقطوعة خصوصًا والـ Jazz كله عمومًا، يا لها من مصادفة ! كان عزفه رائعًا ، أنهى المقطوعة الأولى ثم عزف مقطوعات أخرى تسمى (Noir Jazz) تنتمى لفترة الأربعينيات ، إنها تعيد الذاكرة لأيام أفلام المحققين وتعطى انطباعًا باللون. . . .

★ ★ ★

. . . . الرمادى ! كم أحب ذلك النـوع مـن الموسيقـى ! كنت أعـزف وعينى لا تفارقها ، ثم أنهيت العزف ووقفت أتلقى تحية الجمهور ثم نزلت من على المسرح واتجهت إلى مائدتها وسط دهشة أصدقائها وأخرجت من جيبى . . . . . .

★ ★ ★

. . . .زهرة حائط قرمزية !!! قدمها لى الرجل مبتسمًا وسط دهشة أصدقائى ثم خرج من المكان حاملاً صنـدوقه ، فقمت بلا شعـور أتبعـه حتى أحس بى فى ذلك الممر أمشى خلفه فنظرت إليه وابتسمت ابتسامة و . . . . .

★ ★ ★

. . . . ابتسمت لها ابتسامة رمادية اللون كابتسامتها . . إننا نقرأ أفكار بعضنا البعض تقريبًا لأننا متشابهون فى كل شىء ،هذا لأننا . . . .

★ ★ ★

. . . .زهور الحائط !!!!!!!

تم بحمد الله

عمر محمد أحمد

كما ترى فيها تقنيات المونتاج السينمائى تمامًا والتداخل بين خواطر العازف والفتاة شيق جدًا ، ويبرر هذا بأنهما طائران على شكليهما وقعا . .

هذه هى القصة الوحيدة عندى لعمر . . لكنها عينة ناجحة جدًا .

صديقتى حفصة الشرقاوى أرسلت لى مخطوطة ديوان شعر جميل لها ، اسمه (السير على البلور المتحرك) . . تقول فى أولى قصائده :

وماذا يضير ؟

لو أننا

عبرنا الحياة كعصفور صغير ؟

يهبط أرضًا يلتقط رزقه

ويمضي عمره بين الأشجار

محاولاً أن يطير . .

لا شىء هناك يُنسى . .

لا شىء يُذكر . .

لا شىء يستحق التفكير . .

سوى رفقة وسماء ومحيط شاسع

وعش دافئ وثير . .

ماذا يضير

لو أننا غافلنا الحراس

وانطلقنا صوب الشمس

دون اعتبار يا صديقى ؟

لطلقة صياد خبير

أرأيت ذلك الوهج ؟

ألمست حافة أحلامك ؟

لا تأسف لشىء إذن

فرصاصة ليست بالكثير

تذكر أنه ذات مرة

حلقنا نحو الشمس

حتى لو أنه

ذلك التحليق الأخير !

حفصة الشرقاوى

قصيدة رقيقة فعلاً ، وتذكرنى بأغنية سيمون وجارفنكل (أفضل أن أكون عصفورًا لا قوقعة . . لو استطعت لفعلت) . . لكنى آخذ عليك كسر الوزن عدة مرات . . ثم اللغة القريبة جدًا التى تشبه كلام الصحف (لا شىء يستحق التفكير . . فرصاصة ليست بالكثير) . . هناك طرق أقرب للشعر لقول ذات

الأشياء . على كل حال أنا أؤمن أن الشعر عاطفة أولاً ، وأن يخلق الشاعر حالة وجدانية كاملة . . هذا موجود لديك فلم يبق إلا تدريب الأذن على الإيقاع بقراءة شعر أكثر فأكثر .

ديوان حفصة به قصائد ممتازة، لكنها أرسلته لى بطريقة PDF ونسخ القصائد منه يشوه حروفها ، لهذا أعدت كتابة القصيدة التى نشرتها فقط لأنها الأولى والأقصر .

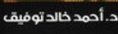
شكرًا لكم . . وإلى لقاء جديد .

د . أحمد خالد

روايات مصرية

مغامرات ممتعة من أرض الخيال

فانتازيا 62



د. أحمد خالد توفيق

أحلام

يقول فلاسفة اليوجا : "إن الأحلام هى ما رأيناه .. ما سمعناه .. ما خبرناه .. ما نتمنى أن نجربه .. ما نحن مرغمون على أن نجربه ... ما تخيلناه .. ما هو طبيعة فى أجسامنا".

فى قصة اليوم نجرب نوعًا من الأحلام لا يخضع لأى قسم من أقسام هذا التعريف !

الكتيب القادم

وعد جوناثان





الثمن فى مصر 7

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم

18 / 1 / 015